الشارع المغاربي
أسبوعية مستقلّة تحترم القارئ

افتتاحية

ماذا بعد الانتخابات وشعاراتها؟!

بقلم : معز زيّود

العدد 426 - من الثلاثاء 8 إلى الاثنين 14 أكتوبر 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

كيف سيحكم قيس سعيّد البلاد ؟

بسام معطر رئيس جمعية «عتيد» لـ «الشارع المغاربي» :

قرارات الهيئة أثّرت سلبيا على نزاهة العملية الانتخابية وشفافيتها

ماذا بعد الانتخابات وشعاراتها؟!

بقلم : معز زيّود

أُغلقت يوم أول أمس صفحة الانتخابات الرئاسيّة بفوز كاسح للمرشّح قيس سعيّد بولاية جديدة. وعلى خلاف التهويمات الافتراضيّة التي بشّر بها بعض مناهضي سعيّد إلى حدّ الدقائق الأخيرة من التصويت، فإنّ النتيجة كانت متوقّعة لاعتبارات موضوعيّة عديدة في مقدّمتها اختلال شروط المنافسة. دروسٌ عدّة يمكن استخلاصها من هذه المحطّة الانتخابيّة، غير أنّ الأهمّ يكمن في التوجّهات العامّة التي سيعتمدها رئيس الجمهوريّة خلال المرحلة المقبلة. هذا الفوز الساحق لا يمكن التشكيك فيه إلّا من قبل قلّة قليلة من الأصوات المعارضة التي على مؤسّسات الدولة احترام خياراتها رغم اتّضاح فشلها الذريع في تغيير الموازين والتأثير في المشهد السياسي الغارق أصلا في السلبيّة والرداءة المتناهية...

وفي كلمته بُعيْد الإعلان عن نتائج استطلاعات الرأي بعد غلق مكاتب التصويت ليلة أول أمس قال سعيّد وكرّر مرارًا إنّ "تونس ستستمرّ"، وهو في الحقيقة أمر في منتهى البداهة. فتونس ستستمرّ بالقوّة والفعل مهما كابدت من شجون مؤرقة وأزمات عميقة وانحرافات عابرة لا تساوي شيئا في تاريخ هذه الدولة العريقة، غير أنّه من المؤمّل ألّا يكون المقصود بتلك العبارة أنّ الرئيس سعيّد سيمضي في اعتماد الممارسات السياسيّة السالفة ذاتها.

فبصرف النظر عن خطاب الشرعيّة المترهّل الذي يتشبّث بتلابيبه هذا الشقّ وذاك، وبحكم ظاهر الأمر الواقع الذي يمنح رئيس الجمهوريّة صلاحيّات تكاد تكون مطلقة، فإنّ البلاد بحاجة ماسّة خلال الفترة المقبلة إلى أن تقطع مع نزعة الانتقام والتشفّي والتشاحن وأن تشهد تهدئة سياسيّة ضروريّة تسمح ببلوغ ما أمكن من انتعاشة على الأصعدة الأخرى، الاقتصاديّة منها والاجتماعيّة وغيرها. ولا يخفى طبعًا أنّ الرئيس سعيّد هو من يتحمّل في المقام الأوّل والأخير مسؤوليّة تحقيق تلك الانفراجة المنشودة.

ولا ريب في أنّ ذلك يتطلّب، اليوم قبل الغد، الحدّ قدر الإمكان من خطاب التخوين والتهديد والوعيد في بلادٍ لم يعد بالإمكان بعد الثورة، المجهضة أهدافها، تكميم أفواه نخبها وعموم أبنائها إلى ما لا نهاية... في هذا السياق، لا يفوتنا أن نستذكر ما أدّى إليه تطبيق "المرسوم 54" من تضييق مجحفٍ على حريّة الرأي والتعبير والصحافة، وما سمح به من الزجّ في السجن بصحفيّين عمادُ مهنتهم حريّة الكلمة، وما تسبّب فيه بالخصوص من إشاعة الرعب من الملاحقة الأمنيّة وبثّ الخوف في النفوس. فليس جديدا أنّ نُذكّر بأنّه لا ديمقراطيّة بتاتًا من دون ضمان حريّة الرأي والتعبير للجميع، وبأنّه لا إعلام يُرتجى منه خيرًا في إنارة الرأي العام إذا فُرضت الرقابة الذاتيّة على الصحفيّين ومؤسّساتهم باعتماد أساليب الترهيب المعروفة. وعلى سبيل الذكر فإنّ التغطية الإعلاميّة للتلفزة الوطنيّة خلال الفترة الانتخابيّة بدت مثيرةً للأسف جرّاء ما بثّته من مشاهد "الطبل" و"التطبيل"، وما مارسته مرارًا من انحياز، وما أشادت به من نسب النمو الصفريّة... وليس من مهامها كذلك، باعتبارها أهمّ مرفق عمومي للإعلام، أن تتفانى في تقليد خطاب التخوين وإقصاء من يُسمَّوْن بالمناوئين، ممّا جعلها تشبه إلى حدّ كبير ما كانت عليه قبل 14 جانفي 2011، ولاسيما في ظلّ غياب سياسة عموميّة للإعلام.

في المقابل، لا تعني التهدئة المنشودة دعوة رئيس الجمهوريّة إلى التخلّي عن بعض شعاراته المحوريّة مثل مقاومة الفساد والفاسدين أو التمسّك بسيادة القرار الوطني. فهذا يندرج في صميم المطالب الشعبيّة، غير أنّه لا ينبغي الاكتفاء بالشعارات الرنّانة دون أن يكون لها مضمون فعلي ملموس. والحقيقة أنّ سياسة الحزم قد أدّت، خلال الأعوام الماضية، إلى تخلّي بعض القطاعات عن الإضرابات الفوضويّة عن العمل مثل تلك التي كانت تُحوّل شوارع البلاد إلى جبال متراصّة من القمامة، أو كذلك إلى محاسبة بعض من أوغلوا في ابتزاز مؤسّسات عموميّة كبرى وشلّ سلاسل الإنتاج بها على غرار شركة فسفاط قفصة. أمّا عن الخطاب السيادي، فمَنْ مِنَ التونسيّين يَقبَل اليوم دروس الدول الغربيّة في الديمقراطيّة والحقوق والحريّات، وخاصّة بعد أن افتضح أمرها وفقدت الحدّ الأدنى من الأخلاق عبر دعمها المفرط للجرائم الوحشيّة للكيان الصهيوني ولما دأب عليه من تقتيل وإبادة جماعيّة للفلسطينيّين.

مجمل القول إنّ التونسيّين الذين صوّت الكثير منهم لصالح قيس سعيّد يأملون في إصلاح أحوالهم الاقتصاديّة والاجتماعيّة البائسة، لكنّهم في الساعات الحاسمة لا يُساومون أيضا في كرامتهم. والكرامة عندهم لا تُحفظ وتُصان فقط بتحسين مقدرتهم الشرائيّة وإنّما كذلك بتجنّب المسّ بحقوقهم وحريّاتهم وآرائهم دون تسلّط أو ترهيب...

الشارع المغاربي
تصدر عن شركة «كوثر العالمية للاتصال»
شركة محدودة المسؤولية

المؤسسة والمديرة المسؤولة
كوثر زنطور

مستشاران لدى إدارة التحرير
برتبة رئيس تحرير :
معز زيّود - الحبيب القيزاني

كتّاب افتتاحيات :
الصادق بلعيد - حمادي بن جاءبالله - عز الدين سعيدان - نائلة السليني - ألفة يوسف - خالد عبيد - جمال الدين العويديدي- عبد الواحد المكني - رفيق بوجدارية - أحمد بن مصطفى - فوزي البدوي - زهير بن يوسف - مولدي الاحمر

مستشارو التحرير :
صالح مصباح - صلاح بوزيان - أنس الشابي - نهلة عنان - مسعود رمضاني - أسعد جمعة - عامر الجريدي

الملحق الثقافي :
منير الفلاّح - عواطف البلدي

الفريق الثقافي :
زهير بن يوسف - عبد الوهاب البراهمي - محمد الكحلاوي - أنور الشعافي - رضا القلال - الطيب الطويلي - هيام الفرشيشي - شفيع بالزين - علاء الدين السعيدي - خليل ڤويعة - الحبيب بيدة - محمد رضا البقلوطي - صالح السويسي - بهيجة بالربيع بنرقية

الريبورتاجات :
محمد الجلالي

التحرير :
منى المساكني - خالد النوري - تميم أولاد سعد - كريمة السعداوي - ياسين بيّوض

الشارع القضائي :
لطفي واجه

المدير الفنّي :
فيصل بن البشير

مكلفة بمهمة لدى إدارة التحرير:
هيفاء بن محمد

العنوان :
45 شارع آلان سافاري - 1002 تونس
الهاتف : 034 063 36 الفاكس : 065 890 71
www.acharaa.com
contact@acharaa.com

المطبعة: BETA i@beta.com.tn

بعد انتصار ساحق وفوز بعهدة ثانية و«أخيرة» :

كيف سيحكم قيس سعيّد البلاد ؟

كوثر زنطور

غابت المفاجآت، مثلما كان متوقعا، عن نتائج الانتخابات الرئاسية المنتظمة يوم اول امس الاحد 6 اكتوبر 2024 بتحقيق المترشح قيس سعيد فوزا ساحقا سيمكنه من الدخول في عهدة رئاسية ثانية، ستكون مبدئيا هي الاخيرة. وتعهد خلالها سعيد، حسب شعار حملته الانتخابية، بالانطلاق في مرحلة "البناء والتشييد".

حلق المترشح قيس سعيد عاليا بعيدا عن المترشحين الاثنين الاخرين العياشي زمال وزهير المغزاوي بتسجيل نسبة 90.69 في المئة من مجموع اصوات الناخبين في سباق رئاسي شهد نسبة عزوف قياسية مقارنة ببقية الاستحقاقات الرئاسية بعد الثورة بتجاوزها نسبة الـ70 في المئة. وحل العياشي زمال المترشح القابع في السجن منذ يوم 2 سبتمبر 2024، بالمركز الثاني بـ7.35 في المئة ،.فيما جاء بالمركز الثالث والاخير المترشح زهير المغزاوي بـ1.97 في المئة.

الاعلان عن هذه النتائج رافقته موجة تشكيك مردها بلا شك حجم الانحرافات التي شابت كامل هذا المسار الانتخابي الاستثنائي بما انتج "انتصارا انتخابيا للرئيس والمترشح سعيد على نقيض فوزه المستحق في رئاسيات 2019 التي نافس فيها انذاك رئيس حكومة ونائب رئيس البرلمان ووزير دفاع. تغير المشهد في استحقاق خريف 2024 فسعيد الذي حافظ نسبيا على مخزونه الانتخابي، يُتهم بتحقيق فوز بفضل قوة اجهزة الدولة في مسرح انتخابي بلا منافسين جديين وبلا رقابة ولا حملات أو نقاشات حول برامج مع تضييق غير مسبوق على الفضاء العام.

انقسام المعارضة

بينما كان قيس سعيد يحتفل بفوزه في الانتخابات الرئاسية بين مقر الحملة وشارع الحبيب بورقيبة وسط العاصمة تونس، انطلقت المعارضة في "محاكمات فايسبوكية" وفي تحميل المسؤوليات في ما بينها بخصوص مدى وجاهة ورجاحة ونجاعة وصواب خيار المقاطعة او خيار المشاركة. ومن المهم التذكير بأنه غاب عن هذا الاستحقاق ممثلو مختلف تيارات المعارضة بعد استحالة الترشح بسبب السجن او المنفى او التقاعد السياسي الوجوبي واخيرا بسبب امتناع هيئة الانتخابات عن تنفيذ احكام المحكمة الادارية وهو قرار افضى الى اقصاء ثلاثة مترشحين بحكم قضائي بات وحرمهم من حقهم في خوض هذا السباق.

انقسمت مواقف المعارضة بين محاولات جر المترشحين "زمال والمغزاوي" للانسحاب وخياري المشاركة أو المقاطعة وحسمت التطورات التي عرفها المشهد الانتخابي الكفة لصالح المقاطعة. فقد اضعف صدور احكام بالسجن في حق المترشح العياشي زمال والتلويح بالغاء اصواته حماس دعاة المشاركة بالنظر الى ان زمال يعد مترشحا توافقيا له مقبولية من جل تيارات المعارضة عكس منافسه على نفس الخزان الانتخابي زهير المغزاوي امين عام حركة الشعب الذي اسقطته" الايديولوجيا" وسنوات المساندة المطلقة لمسار 25 جويلية من حسابات عدة "معارضات" وازنة.

تقول الارقام ان نسبة العزوف قياسية وهامة بتجاوزها الـ70 في المئة من الجسم الانتخابي. فحسب النتائج الاولية المعلن عنها يوم امس من هيئة الانتخابات، شهد السباق الرئاسي، الثالث بعد الثورة، اقل نسبة اقبال محققة بـ28.8 في المئة يقابلها عزوف بـ71.2 في المئة، وهي نسبة قياسية ورسالة سياسية وجب التوقف عندها لا سيما انها تتعلق بأهم استحقاق انتخابي على الاطلاق من جهة، وتحولها الى السمة البارزة في كل المحطات الانتخابية التي انتظمت تحت اشراف هيئة بوعسكر بعد 25 جويلية 2021 من جهة اخرى.

قد تعني هذه النسبة نتيجة حتمية، وفق دعاة المقاطعة، لمسار متعثر سحب من السباق أية تنافسية وطغى عليه انطباع عام بان نتائجه محسومة، وهذه النسبة قد تفسر خاصة بغياب عرض سياسي يستقطب الناخبين مع تجاوز هذه النسبة مثلا عتبة الـ90 في المئة اصلا بالنسبة الى فئة الشباب بين 18 و35 سنة. ومن المفارقات الا يتم التعامل مع نسبة العزوف بما تعكس من اهمية وما تتطلب من استنتاجات سياسية.

كيف سيحكم تونس ؟

هذا هو السؤال المطروح اليوم بقوة. فالشرعية الانتخابية تمثل تفويضا شعبيا بالنسبة الى الرئيس قيس سعيد لمواصلة " حرب التحرير الوطني، او "تطهير البلاد". وهذه الحرب التي انطلقت منذ اكثر من عامين، يقول سعيد يوم اول امس اثر الاعلان عن التقديرات الاولية من الرئيس المدير العام لمؤسسة سيغما كونساي انها ستتواصل، اطلقت معها العنان للتضييق على الحريات الفردية والعامة وتتالت معها التتبعات والمحاكمات وتجاوز لكل القواعد والاعراف باسم المنطق الثوري.

ولا يحمل "خطاب النصر" بين طياته مؤشرات بحدوث تغير في سياسات قيس سعيد في ادارته لما يسميه بحرب التحرير، التي قد تأخذ منحا تصاعديا ملحوظا بعد حصوله على تفويض شعبي سيعزز من "حملات" تطهير البلاد من الفاسدين والمفسدين والمشككين "خصوصا انه كان قد أكد خلال الحملة الانتخابية أنه لن يسمع" لا صوتا ولا همسا ولا ركزا" بعد يوم الاقتراع لمن نعتهم بالخونة والعملاء والمتآمرين.

قد تترجم هذه الوعود بموجات جديدة من الايقافات والتتبعات ستشمل حتى "المشككين"، مثلما جاء في وعد الرئيس المبين. وتبرز من هنا المخاوف من القادم ومما ستبوح به مرحلة "جد الجد" في العهدة الرئاسية الثانية التي ستؤسسها كيفية قراءة قيس سعيد نتائج الانتخابات وفوزه الساحق على حساب مترشحين اثنين، احدهما (زهير المغزاوي) من الموالاة قبل ان يغادر حديثا بيت الطاعة والثاني (العياشي زمال) مغمور سياسيا حرم من ادارة حملته الانتخابية اثر ايداعه السجن قبل ايام قليلة من انطلاقها.

لا احد يقارع الرئيس ولا أية سلطة في وجوب تتبع الفاسدين والمفسدين والخونة والعملاء والمتآمرين، لكن الاشكال القائم منذ بدء حرب التحرير وتطهير البلاد ومع مجمل القضايا المثارة بعد 25 جويلية هو تكييف الافعال وتناسبها مع التهم الموجهة، وفي استنادها الى وشايات وتقارير امنية وفي جانبها الكيدي وأصلا في الوضع الحالي للقضاء وهو وضع يشي باصدار احكام قاسية، اذ يتداول في كواليس هيئات الدفاع عن مساجين سياسيين، ممن يتوقعون اصدار احكاما ثقيلة قد تصل الى الاعدام والمؤبد.

طبيعة المرحلة القادمة قد تحددها ايضا طريقة تعاطي المعارضة مع نتائج الانتخابات. فقد تنطلق حملات للطعن في شرعية الانتخابات ودعوات لعدم الاعتراف بنتائجها دوليا. ونجد صدى لهذا التحرك المرتقب في البيان الصادر يوم امس الاثنين عن حملة المترشح العياشي زمال التي دعت فيه الى تهدئة سياسية شاملة .كما اعترفت الحملة ضمنيا بفوز قيس سعيد بعد تشكيك سابق ودعوة هيئة الانتخابات للتسريع في الاعلان عن موعد الدور الثاني.

تبرأت حملة زمال من أي تحرك خارجي واكدت ان " الشان السياسي بما فيه الانتخابات موضوع تونسي صرف لا مجال لاي تدخل اجنبي فيه" وشددت على "رفضها استغلال المسار الانتخابي وما حف به من نزاعات وغيرها للمس من السيادة الوطنية ".

كما يؤكد تلويح هيئة الانتخابات بتتبع كل من يشكك في النتائج حتى بالتلميح، ان لون العهدة الرئاسية الثانية ستحدده طريقة التعاطي مع نتائجها التي قد تُشرعن لمزيد من التضييق ومن الانغلاق ومن التتبعات. وهذا الصندوق الذي منح للرئيس قيس سعيد خماسية جديدة لحكم تونس، ليس بالنسبة لجزء من المعارضة الحل للتغيير ولا اعترافا بنتائجه ولا بالسلطة المنبثقة عنه، مستندة في ذلك الى مقولة اصبحت رائجة بقوة منذ بدء الفترة الانتخابية "الاتقلاب لا يسقط بالصندوق".

مع ذلك لهذا الصندوق حقائق لا يمكن نكرانها، لها رقمان مهمان، الاول فوز قيس سعيد بمليونين و 438 الفا و954 صوتا، والثاني نسبة عزوف قياسية. سيحمل الاول تحديات للرئيس في عهدته الجديدة التي من الصعب ان يواصل فيها حكم البلاد بقوة الامن والقضاء او ادارة الشأنين الاقتصادي والاجتماعي بلا تشخيص واقعي وعبر البحث عن كباش فداء بتغيير الحكومات وبالمنطق التامري وهي كلها ادوات استعملت في سنوات الحكم الفردي وقد تكون انتجت نجاحا انتخابيا لكن لا يبدو انه من الممكن مزيد الاستثمار فيها خلال الخماسية القادمة.

اما الرقم الثاني، نسبة العزوف، فيعني بوضوح وجود حاجة الى عرض سياسي جديد وبديل يقنع وقادر على الوصول الى العمق الشعبي. وهذا يتطلب مراجعات مؤلمة والنظر في اسباب اخفاقات متتالية وانتاج قيادة سياسية ذات مصداقية وكفاءة. طبعا هذا يتطلب ايضا تحرير الفضاء العام..

أسئلة انتخابية حارقة

صالح مصباح

1/ سؤال «سيقما»

إلى حد مساء الاثنين 8 أكتوبر، لم تعلن هيئة الانتخابات عن الحصيلة. وسلم التونسيون بما أعلن عنه صاحب «سيقما». سلموا بذلك سذاجةً أو تواطؤا أو وعيا.المُسلّمون سذاجةً لا يتقنون التساؤل، فلا جدوى من النظر في تسليمهم. والمُسلّمون تواطؤا لا جدوى من التوسع في شأنهم، فقد أغناهم الفرح عن خلافه. والمُسلّمون وعيا يدركون ما وراء ظهور صاحب «سيقما». كان هذا الصاحب قد رفض سابقا الخوض في الاستبيان خوفا «على عائلته» بعبارته. لكنه ظهر مساء الأحد مُحمّلا بجداوله ظهورا غير منتظر. فلما كان الاستبيان ممنوعا فإن ظهوره هو وجوبا بطلب من أصحاب الأمر. وإن أعوانه لم تظهر لهم حركة في الشوارع مثلما كانت في سابق الانتخابات. فمن أين استقى تلك الأرقام التي منها تقدم المترشح الرسمي بنسبة 89%؟. فهل هذه النسبة مشتقة من استبيان فعلي أم هل هي النسبة المطلوبة التي ستتأثر جداولها لاحقا نسبةُ الفاروق الذي منح لنفسه متسعا من التطويع ؟ إننا لا نعلم ، وإنما نسأل مَن لديه الجواب الرسمي؟

2/سؤال المشاركة

أعلنت هيئة الانتخابات أن نسبة الإقبال هي نحو27 %. معنى ذلك أن 7 ملايين من الناخبين رفضوا المشاركة قي انتخابات رهانُها الرئاسة التي هي مركز كل السلط.أليس هذا الرفض من تبعات العبث القانوني الذي شاب العملية الانتخابية فأساء إليها ؟ ألا يعلم من يهمّه الأمر أن الشعوب إذا أدارت الظهر عن شوون الحُكم والحاكم فإنها لن تعود إليهما إلا مشحونة بالغضب؟ فهلاّ استحضر من يهمهم الأمر التاريخَ البعيد والقريب والقريب جدا؟

تقول الهيئة إن نسبة الشباب هي 6 % من جملة المقترعين. وهي قياسا على الناخبين صفر وفتات في المائة. فأي حاضر للمرحلة وللمستقبل؟ .

اطلعنا مرة على إحصاء بيانه أن نسبة 82% من أنصار الرئيس أو المترشح الرسمي هي من الأميين ومن متعلمي الابتدائي. لم نستعمل هذه النسبة فيما كتبنا لأنها غير موثقة بمراجعها. لكن، حين نلحظ أن حالات الاصطفاف القليلة أمام مراكز الاقتراع هي حالات شيوخ يسيرون على ثلاث قادمين من صلاة العصر، نرجح تلك النسبة. فهؤلاء ليسوا على الأرجح حتى من متعلمي الابتدائي، ولا توجي ملامحهم أنهم من المتعلمين المتقاعدين وإنما هم من الفئة الهشة من الشيوخ أمثال من كانت تشهرهم حملة المترشح الرسمي وتلقنهم ما يقولون. فأية إرادة ناخبة هذه التي يتحكم فيها إلى حد كبير كبار السن وعديمو التعلم؟ ! فهل هؤلاء ، وهُمُ الجديرون بالحظوة كلها، بالمؤهلين، وحدهم أو أغلبية، بضبط ملامح مرحلة كاملة من حياة شعب كامل.

3 /سؤال الإرادة الناخبة

قامت الهيئة الانتخابية ومَن معها ومَن وراءها بتحصين المترشح الرسمي وتدريعه بشتى الطبقات الحامية له من السقوط. فعلى مقاس الحصون والدروع أقصت من المترشحين مَن أقصت، وقبلت مَن قبلت، وسجنَت مَن سجنت، وسنّت ومَن معها من مؤسسات الدولة القوانين التي تضيف إلى الدروع دروعا والحصون حصونا. وإذا سلمنا «بفوز» المترشح الرسمي، وهو المزكوّ بالحصن الحصين، فهل ترجمت فوزَه إرادةٌ ناخبة اصطفته في منافسة شريفة المراحل، نزيهة المنهاج، انقدحت فيها المناظرات والمساجلات وتنوعت الطُّرح والبرامج؟ فهل سيكون الفائز هنيّا بهذا الفوز ؟ الراجح أن فوزه إنما هو بعملية انتخابية « سيلاحقها عدم الشرعية وعدم المشروعية « على رأي الأستاذ عياض ابن عاشور.

4 /سؤال المترشحين الاثنين

قلنا مبكرا لقد قبلت الهيئة ترشح الزمال والمغزاوي ليكونا زينة لفوز المترشح الرسمي. لقد أرِيد لهما ما أريد لنبيل قروي قي 2019. وفهم المغزاوي الدور وقبل أن يلعبه. لكن الزمال تملص وأراد أن يكون مترشحا فعليا. وهذا يجلب له الإحترام، لا سيما إذا تركنا جانبا إشهار الإخوان لصوره في صفحاتهم . إلى هذا الحد اختلف موقعا الرجلين. لكن تراكم الدروع والحصون، فضلا على سوابق لها من جنسها، كان يمكن أن يوحد بين الرجلين في منعرج واحد.أما المغزاوي فإنّ دور الكمبارس المزين ، وقد انضاف إليه مسرح متداع ومسرحية بغيضة.، كان كافيا لدفعه إلى أن يستجمع بعض حياء وينسحب. وأما الزمال ، وإن رفض الدور الديكوري، فإن تعدد الحصون كانت كفيلة بإفهامه أنه ممنوع من الفوز لو صوّت له الإنس والجن، وكان عليه أن ينسحب. والغريب أن مِن المحيطين به أصدقاء لنا نعلم نزاهتهم ووعيهم الحصيف. وكان عليهم أن يقرروا معه الانسحاب. ففي هذه الحال، سيعدو المترشح الرسمي وحيدا وسيبلغ الهدف منطفئ الزهو. لكن الحصيلة أن المغزاوي دُمِر سياسيا ، وإلى الأبد، ودُمّر الزمال تدميرا شاملا مؤسفا موجعا ، وتباهى المترشح الرسمي بفوز نفسه فيه «مترشحان». ولعل قسوة الأحكام الصادرة في الزمال، يَحقُّ له بها الفرحُ ببقائه على قيد الحياة على رأي صديقي عثمان بوصلاح . لقد فوت الرجلان اللحظة التي كان يمكن أن تُبقِيَ لهما على آفاق. وهاهنا، ننتسال أنْ هل لتلك النسب التي أظهرت في مراكز الخارج تقدمَ الزمال دور في تمسك محيطه بمواصلة اللعبة وبالحث على المشاركة؟ أليس متوقعا أن ذلك الإشهار كان خدعة إطماعٍ ترتفع بها نسبة الإقبال ارتفاعا يَزيَنُّ به مشهدُ الفوز؟ وفي كل الأحوال، ما الذي يدفع أنصار المترشح الرسمي إلى الاختفال» بفوز « جاء به نحو ربع الناخبين؟! أليس النأي عن هذه اللعبة السمجة هو الأسلم؟

5/سؤال الانقسام

منذ سنة 2011 تعاقبت الانتخابات التي لم تكن لماعة من جميع النواحي، لكن الانقسام المجتمعي الذي كان قد شابها، كان في مستوى بعض قيادات الإخوان وفي اتباعهم. وكان قادة الصف الأول غالبا ما يخفون ذلك الانقسام الكامن في خواطرهم والذي تكشفه أدبياتهم. لكن الخطاب الرسمي في هذه الانتخابات قد أجّج لين التونسيين الانقسام والفرقة والتحاقد حتى كأن الملايين السبعة الذين لم يشاركوا في الانتخابات، فضلا على من لم يناصروا المترشح الرسمي، هم على الشياع من «الخونة والعملاء للخارج» . فهذا الخطاب الذي لازم سعيد رئيسا، قد لازمه مترشحا. والغريب انه يخاطب الشعب الذي باسمه يتوعد الشعب، ولا نعلم ما هو الحد الفاصل بين الشعب والشعب. ألم يخاطب الشعب متوعدا الشعب قائلا:» ولن تسمعوا لهم ركزا». قال ذلك قاصدا إلى ما بعد 6 أكتوبر. وإن « الركز» لغة، والكلمة قرإنية، هو النبس بالشفاء أو الكلام همسا. فما الذي ينتظرنا إذا صح الوعيد؟!.

وفوق كل ذلك، فإن الحكام زائلون، وإن هذه المرحلة هي فصل من تاريخ شعب باق. وإن الأهم من المرحلة ومن هذا النظام الحاكم ، سواء راجع نفسه أو واصل نهجه، إنما هو النسيج الإجتماعي الوطني. فقد ظهرت بوادر الفرقة، على مقتضى ما يجري، حتى بين أفراد الأسرة الواحدة أحيانا، فكيف بالأطر الأوسع،! ؟F

بسام معطر رئيس جمعية «عتيد» لـ «الشارع المغاربي»:

قرارات الهيئة أثّرت سلبيا على نزاهة العملية الانتخابية وشفافيتها

حاوره: محمد الجلالي

اعتبر بسام معطر رئيس جمعية «عتيد» أن هيئة الانتخابات نجحت في تنظيم العملية الانتخابية خلال يوم الاقتراع وانها أثّرت في المقابل على نزاهة العملية الانتخابية وشفافيتها باتخاذ عديد القرارات خلال المسار الانتخابي مشيرا الى أن المناخ العام والتشنج السياسي إضافة للتخفيض في سقف تمويل الحملات الانتخابية لم تشجّع كلها الناس على ممارسة حقهم في الاقتراع.

وعلّق معطر في حواره مع أسبوعية «الشارع المغاربي» على تعامل بعض الجمعيات مع مموّلين اجانب يدعمون الجرائم الصهيونية في فلسطين ولبنان قائلا «نحن كجمعيات ونشطاء بالمجتمع المدني ملتزمون بالسياسة الخارجية لبلادنا ولا علاقة لنا بالكيان الاسرائيلي» معتبرا أن تعاملهم مع الممولين الاجانب يدخل في اطار تعاملهم مع الدولة التونسية مؤكدا ان منظمات المجتمع المدني ستوقف تعاملها مع أية جمعيات أو هياكل تنتمي لدولة لم تعد لها أية علاقة بتونس..

ما أهم الملاحظات التي خرجتم بها خلال متابعتكم عملية الاقتراع؟

ملاحظاتنا تشمل عدة محاور: في ما يتعلق بجاهزية هيئة الانتخابات خلال يوم الاقتراع لاحظنا ان اغلب مراكز الاقتراع فتحت أبوابها في الموعد وأن كل الاعوان كانوا متواجدين منذ الثامنة بل وحتى السابعة والنصف صباحا اضافة الى توفر التجهيزات من صناديق وأوراق وحبر انتخابي عدا مركز واحد بمعتمدية قربة من ولاية نابل فتح ابوابه مع تمام الثامنة والنصف بسبب تأخر قدوم رئيسه. اما نسق الاقتراع فقد كان بطيئا خلال فترة الصباح نتيجة تعطّل التطبيقة التي تستغلها الهيئة. كما لاحظنا ان فئة الكهول كانت الاكثر إقبالا خلال كامل يوم الانتخاب على مراكز الاقتراع وأن بعض المكاتب شهدت اكتظاظا لافتا يعود أساسا الى ترفيع الهيئة في عدد المسجلين الى أكثر من 1000 ناخب لكل مكتب اقتراع على خلاف الانتخابات الرئاسية السابقة والتي لم يتجاوز خلالها عدد المسجلين بكل مكتب 600 ناخب. هذا الترفيع الى قرابة الضعف ادى الى وجود طوابير امام عدد من المكاتب.

اكتظاظ رغم أن نسبة الإقبال على الانتخاب لم تتجاوز 28 %؟

تعطل تطبيقة هيئة الانتخابات وبطئها في معالجة المعلومة لمدة تتراوح بين 5 و10 دقائق ساهما بدورهما في وجود اكتظاظ امام بعض المكاتب.

كيف تفسرون ضعف نسبة الاقبال على الاقتراع؟

هذه النسبة أفضل مما تم تسجيله في آخر انتخابات تشريعية ومحلية لكنها لم تتجاوز نسبة الاقبال المسجلة في الدور الاول من الانتخابات الرئاسية لسنة 2019 مع العلم ان نسبة 28% التي اعلنت عنها الهيئة ليلة أول أمس قريبة جدا من ارقام جمعية «عتيد» رغم وجود تفاوت ملموس بين بعض الجهات والولايات. على كل المناخ العام لم يشجّع الناس على ممارسة حقهم في الانتخاب... ما شهده المسار الانتخابي خلال الفترة السابقة من تشنّج سياسي ومن أحداث ارتبطت أساسا بإيقاف أحد المترشحين وبالجدل الذي صاحب عملية جمع التزكيات اضافة الى إلغاء ترشحات عدد آخر منهم وما تلا ذلك من شدّ وجذب بين الهيئة والمحكمة الادارية وخاصة تنقيح القانون الانتخابي قبل أيام قليلة من موعد الاقتراع مع تحديد سقف تمويل لحملات الانتخابية بـ 150 الف دينار بعد أن كان مليار وسبعمائة دينار كلها عوامل أثّرت على نسبة الاقبال.. وإذا سحبنا 150 ألف دينار على مدة الحملة (21 يوما) واخذنا عدد المسجلين في السجل الانتخابي (أكثر من 9 ملايين ناخب) نخلص الى ان هذا المبلغ الزهيد لا يسمح البتة لأي مترشح للتعريف ببرنامجه الانتخابي ولا بالتواصل مع أكبر عدد ممكن من الناخبين.. لذلك شاهدنا حملة انتخابية باهتة وضعيفة بل لاحظنا كناشطين في المجتمع المدني ان عديد المواطنين لا يعلمون شيئا عن المترشّحين عدا قيس سعيد بحكم وجوده في السلطة. ثم إن تقلص عدد المترشحين الى 3 فقط بعد ان كانوا سابقا يعدون بالعشرات وينتمون الى جل العائلات السياسية أثر بدوره على نسبة الاقبال.

ما الاخلالات والتجاوزات التي سجلها ملاحظوكم وهل فيها ما يرتقي الى جرائم انتخابية؟

لم نرصد أية جرائم انتخابية.. واغلب المخالفات الانتخابية تعلقت بالتأثير على ارادة الناخب وتوجيهه من طرف بعض المترشحين وخاصة المترشح عدد 3 وحتى المترشح عدد 1.

هل تعتبر أن الهيئة نجحت في الإشراف

على العملية الانتخابية؟

احقاقا للحق نجحت الهيئة في تنظيم العملية الانتخابية خلال يوم الاقتراع. اما بالنسبة لولايتها على المسار ككل فهذا شأن آخر.. فقد أثرت بطريقة مباشرة على المعايير الفضلى للعملية الانتخابية عبر عدد من القرارات التي اتخذتها على غرار فرض الاستظهار بالبطاقة عدد 3 كشرط اساسي للترشح عدا عدم تطبيق احكام المحكمة الادارية والدخول في سجال قانوني طويل.. كل ذلك كان له تأثير سلبي على نزاهة العملية الانتخابية وشفافيتها.

ما تقييمكم لتعاطي الهيئة مع ملاحظي المجتمع المدني؟

نحن كجمعية لم نواجه أي اشكال باستثناء التأخير في مدنا ببطاقات الاعتماد ولكننا لاحظنا ان عددا من الجمعيات مُنع من اداء واجبه بعد حرمانه من الحصول على بطاقات اعتماد. وهذا مس من حق المجتمع المدني في مراقبة مسار الانتخابات. واللافت ان ما تم التعلّل به يبقى مجرد شبهات غير مثبتة في ظل عدم وجود أحكام قضائية باتة تدعم قرار هيئة الانتخابات.

وكيف تعاطيتم مع الاتهامات التي وجهها رئيس الجمهورية الى عدد من الجمعيات بتلقي تمويل مشبوه؟

للأسف كان لذلك تأثير مباشر على نشاطنا وساهم في تقليص ميزانيتنا مما ادى الى التخفيض في عدد الملاحظين رغم ان التهم بقيت عامة بلا توضيح ولا تفسير. التمويل الاجنبي مسموح به حسب ما ينص عليه القانون ولا أدري لماذا تم تحويله الى اشكال.. حتى مبلغ 234 مليون دينار الذي تم الكشف عنه من قبل البنك المركزي فيعتبر عاديا وحتى ضعيفا جدا بالنظر للنشاط الكبير الذي تقوم به الجمعيات.. ونشاط مكونات المجتمع المدني لا يقتصر فقط على مجال الانتخابات وإنما يمتد الى مجالات أخرى كالبيئة والصحة وغيرهما. لماذا لم يتم الكشف عن الجمعيات التي خالفت القانون؟ وفيم تتمثل تلك المخالفات؟ ولماذا لم تسع الدولة الى تفعيل آليات الرقابة التي بحوزتها لمراقبة الجمعيات؟ ثم ان أي جمعية مطالبة وفق ما ينص على ذلك القانون بنشر كل يرد عليها من تمويلات في الصحف وباعلام رئاسة الحكومة بذلك مما يعني ان رئاسة الحكومة تملك كل

> المناخ العام لم يشجّع الناس على الانتخاب
>
> لم نرصد اية جرائم انتخابية وأغلب المخالفات تعلّقت بالتأثير على الناخب
>
> لا علاقة لنا بالكيان الصهيوني وتمويلنا الاجنبي لا يناقض سياسة تونس الخارجية
>
> الجمعيات لا تحصل على تمويلات اجنبية «تحت حيط»

المعطيات التي تتعلق بتمويلها.. اضف الى ذلك ان الجمعيات لا تحصل على تمويلات اجنبية «تحت حيط» وانما تمر التمويلات عبر البنك المركزي.

ألم يحن الوقت لإعادة النظر في حصول جمعيات على تمويل من دول وهياكل تدعم الكيان الصهيوني ؟

نحن كجمعيات ونشطاء بالمجتمع المدني ملتزمون بالسياسة الخارجية لبلادنا.. لا علاقة لنا بالكيان الاسرائيلي وقد عبّرنا مرارا عن تنديدنا بجرائمه.. تعاملنا مع الممولين الاجانب يدخل في اطار تعاملهم مع الدولة التونسية ولو قطعت تونس علاقتها بأية دولة سنوقف التعامل مع أية جمعيات أو هياكل تنتمي لتلك الدولة.. لن نتخذ مواقف مناقضة لسياسة تونس الخارجية وما دامت هناك منظمات اجنبية منتصبة ببلادنا على غرار بعثة الاتحاد الاوروبي أو «أوكسفام» أو GIZ وغيرها وتتعامل مع بلادنا في عديد المشاريع فإننا نظل ملتزمين بالتعامل معها وفق ما ينص عليه القانون.. و»عتيد» لم تتلق أي تمويل من دولة لا تربطها بتونس علاقات دبلوماسية.

كيف قرأتم تشكيك منافسي قيس سعيد في نتائج سبر آراء «سيغما كونساي» عن عملية الاقتراع؟

من حق أي مترشح التشكيك في نتائج أي سبر للآراء. نحن كجمعية راقب ملاحظونا عمليات فرز الاصوات في 220 مكتب اقتراع خلال ليلة الاحد وخلصنا الى وجود تطابق بين نتائج الفرز وأرقام «سيغما كونساي» والى وجود تقدم كبير للمترشح رقم 3 على بقية المترشحين.

حسب رأيك ما السبيل لتفادي التشكيك في نتائج عمليات سبر الآراء؟

الحل يكمن في تسريع هيئة الانتخابات في اصدار النتائج الاولية في نفس يوم الاقتراع لقطع الطريق على أي تشكيك مع العلم أن سبر الآراء غير مجرّم في عديد الدول الأخرى شريطة ان يتحمل القائم عليها مسؤولية أي تقديم معطيات مغلوطة أو غير متناسقة مع النتائج الحقيقية للانتخابات.. للأسف تعودنا في تونس على ان يشكك اي طرف سياسي لم ينصفه الصندوق في نتائج سبر الآراء.

الانتخابات الرئاسية في عيون الصحافة العالمية

اهتمت أغلب وسائل الاعلام العالمية في تغطيتها للانتخابات الرئاسية التي جرت يوم أول امس في تونس بالتوقعات التي أشارت الى تقدم واسع للمترشح قيس سعيد الرئيس المنتهية ولايته على حساب منافسيه زهير المغزاوي والعياشي زمال مقابل نسبة مشاركة في حدود 28 بالمائة.

Le Monde

وتحت عنوان «في تونس ..توقعات بفوز الرئيس قيس سعيد في انتخابات حسمت سلفا « كتبت صحيفة "لوموند" الفرنسية في تقرير على موقعها يوم أمس» لم يكن هناك اي تشويق يحيط بالانتخابات الرئاسية التي جرت يوم الاحد بتونس ..وفي اطار التقاسم المنظم بصفة جيدة بثت التلفزة التونسية في بداية السهرة نتائج سبر اراء عند الخروج من مراكز الاقتراع أظهرت فوز قيس سعيد بنسبة 89.2 بالمائة من الاصوات وحصول منافسيه الاثنين اللذين اعلنت هيئة الانتخابات عن قبول ترشحيهما... زهير المغزاوي والعياشي زمال الا على 6.9 بالمائة و3.9 بالمائة..»

واشارت الصحيفة الى ان حملة المترشح الموقوف العياشي زمال نددت بنشر نتائج سبر الاراء والى انها اعتبرت ذلك مخالفا للقانون. كما اشارت الى ان المترشح زهير المغزاوي كان قد دعا من جهته مؤسسات الدولة الى حماية المسار الانتخابي معتبرا نتائج سبر الاراء مغلوطة وغير صحيحة.

واكدت الصحيفة انه لم يتم لاول مرة منذ سنة 2011 السماح لملاحظين من الاتحاد الاوروبي بمواكبة سير العملية الانتخابية مذكرة بان هيئة الانتخابات كانت قد رفضت منح اعتماد لمنظمتين من المنظمات المحلية الاساسية لمراقبة الانتخابات هما «مراقبون» و«انا يقظ» وبأن ذلك كان بذريعة «حصولهم على تمويلات اجنبية مشبوهة..»

LE FIGARO

صحيفة «لوفيغارو» الفرنسية تطرقت بدورها الى نتائج سبر الاراء التي أكدت فوز قيس سعيد الرئيس المنتهية ولايته بنسبة تناهز 89 بالمائة والى احتفالات انصاره بالفوز».

وذكرت الصحيفة بأن هيئة الانتخابات اعلنت ان نسبة المشاركة كانت في حدود 27.7 بالمائة لافتة الى أن النسبة كانت قبل سنوات في الدور الاول في حدود 45 بالمائة.

وأضافت : «اعتبر فاروق بوعسكر أن نسبة المشاركة المسجلة في انتخابات الاحد كانت طيبة والحال أنها أضعف نسبة سجلت في الدور الاول منذ الاطاحة بنظام بن علي سنة 2011».

BBC

اما قناة «بي بي سي» البريطانية فقد نشرت يوم امس على موقعها تقريرا تحت عنوان «التونسيون ينتخبون رئيسهم الجديد بعد حملة انتخابية باهتة».

وذكرت ان «سعيد يتعرض بعد مرور خمس سنوات من الحكم لانتقادات شديدة من معارضين ومن منظمات المجتمع المدني، لأنه كرّس الكثير من الجهد والوقت لتصفية الحسابات مع خصومه، وخصوصا حزب النهضة الإسلامي المحافظ الذي هيمن على الحياة السياسية خلال السنوات العشر التي أعقبت الإطاحة بنظام الرئيس زين العابدين بن علي في عام 2011.»

واضافت «تندّد المعارضة، التي يقبع أبرز زعمائها في السجون ومنظمات غير حكومية تونسية وأجنبية، بـ«الانجراف السلطوي» في بلد مهد ما سُمّي «الربيع العربي»، من خلال تسليط الرقابة على القضاء والصحافة والتضييق على منظمات المجتمع المدني واعتقال نقابيين وناشطين وإعلاميين.»

وأشارت الى ان الحملة الانتخابية كانت باهتة دون اجتماعات أو إعلانات انتخابية أو ملصقات ولا مناظرات تلفزيونية بين المترشحين مثلما كانت عليه الحال في عام 2019.

ونقلت عن الخبير في «مجموعة الأزمات الدولية» مايكل العيّاري تاكيده أن الرئيس سعيّد «وجّه» عملية التصويت لصالحه وانه «يعتقد أنه يجب أن يفوز في الانتخابات» حتى لو دعت المعارضة اليسارية والشخصيات المقربة من حزب النهضة إلى التصويت لصالح زمال.»

القدس العربي

كما تطرقت الصحف العربية الى الانتخابات الرئاسية ولئن اقتصر اغلبها ولا سيما الرسمية منها على متابعة نتائجها وما يعلن من بلاغات رسمية فإن بعضها تناول الظروف التي جرت فيها الانتخابات.

ويوم امس نشرت «القدس العربي» تقريرا تحت عنوان: «رئاسيات تونس بين مواصلة "الحرب على الفساد" وطي صفحة "الانقلاب"

وذكرت الصحيفة ان «الرئيس التونسي والمرشح الرئاسي قيس سعيد تعهد قبل ايام بـ"استكمال الثورة" ومواصلة الحرب على الفساد، في وقت دعا فيه خصومه إلى التصويت لمنافسيه، العياشي زمال وزهير المغزاوي، من أجل "طي صفحة الانقلاب" وإعادة البلاد إلى سكة الديمقراطية.»

واضافت «بينما لجأ مؤيدو سعيد إلى اجترار مقولة "عدم الرجوع إلى الوراء" والتخويف من فزاعة "العشرية السوداء" دعت أغلب أقطاب المعارضة إلى التصويت لزمال، الذي يواجه أحكاما عدة بالسجن، أقصاها 12 عاما، بتهمة "تزوير التزكيات".

ونقلت مواقف عدد من الناشطين والنواب والسياسين الداعمين لهذا الطرف او ذاك.

ثقّافة الإصلاحيّة الأخلاقية ضمانة تأسيس دولة وطنية

بقلم صلاح بوزيّان

هل التّسامح يعني قبول الاختلاف أم رفضه ؟ وهل التّسامح ممارسة محايدة ؟ سؤالان ردّت عليهما الثّقافة العربية الإسلامية وأنجزت لهما مشروعا في فضاء ثقافي تعدّدي تشاركي تمتزج فيهما الثقافة بالأخلاق، بينما عجزت الثّقافات الغربية والأوروبية عن تقديم إجابة واقعية حقيقيّة لهما، لأنّ الإيديولوجيا انفردت بالقرار وأقصت الثقافة، ثمّ امتزجت بالأهواء والمصالح عند رسم الاستراتيجيات وتقديم الحلول والإجابات فكان المنجز بلا ثّقافة ولا أخلاق ممّا يثير حفيظة المثقّفين والفلاسفة في أمريكا وبلدان أوروبا، كلّ ذلك ملموس اليوم في التّواصل مع العرب والإسلام، ألا تبدو مواقف الغرب وأوروبا من العرب والإسلام وفي ما نراه اليوم في فلسطين والسّودان، متغذّية بمسكوت عنه نسمّيه التّعصّب الخفيّ، نصرةً للصهيونية ودعما لمشروع تأسيس دولة صهيونية ظاهرها يهودية عبرية وباطنها ملحدة ؟ ومن ناحية أخرى لماذا يؤمن العرب بالمأثور الإسلامي مثل الشّورى وإبداء الرّأي ثمّ يمارسون نقيضها ممّا يضيّع فُرصا تاريخية على الأوطان لترتقي وتنمو وتتخلّص من المشاكل والمعوّقات، وتصدر مواقف واضحة من جوائح الظّلم الغربي والصهيوني، أليس إقصاء النُّخب العربية من دائرة التّدبير أضرّ بالمجتمعات العربية وتركها تتخبّط في الفشل والإحباط والبطء؟ بعض من الأسئلة هو الطّريق الصّحيح، وتقديم الإجابة عليها أفق الخلاص والتّجاوز.

الجفاف الأخلاقي العالمي

تتجلّى وظيفة هذا المقال في إيجاد بعض الإجابات لهذا الانحراف الأخلاقي الّذي عمّ العالم وانتشر في البلدان وعلى الأخصّ العالم الغربي، باعتبار أنّ منجزات التّقدّم التكنولوجي والتّصنيع الحربي مع تراكم رأس المال التّجاري قد أتاح للغرب ممارسة سلطة ضارّة بإنسانه الغربي وخلقت انزياحا سيّئا عن واقعه وواقع العالم، ورسمت رؤية ضبابية على ما تفعله الأنظمة الحاكمة تجاه شعوب العالم الثّالث/ الإنسان العربي، وتبدو مظاهر ملامح التّلوث الفكري الإيديولوجي الذي يتخبّط فيه الغرب المتمدّن واضحة، وما عهدنا صدقا ولا وفاء بوعد من الغرب ولا من أوروبا . والإيديولوجيا الغربية أو الأوروبية كلتاهما متنافرة مع ثقافتيهما ونضالات الفلاسفة والمفكرين والعلماء وتشريعات الحقوقيين الغربيين، الإيديولوجية مصلحاتية متلطّخة بالجرائم والظّلم من ذلك ما فعلته فرنسا في بلدان المغرب وخاصّة الجزائر وبلدان أفريقيا، فهي مورّطة في قتل العدالة الإنسانية واستهداف كلّ نَفَسٍتحرّري استقلالي للأوطان وخاصّة البلدان الإفريقية، هذه حقيقة يقرّ بها مثقّفو أوروبا وأمريكا، فقد خرج جون بول سارتر في مسيرات للدّفاع عن استقلال الجزائر زمن الاحتلال الفرنسي، كما أنّنا نقرأ مقالات ودراسات غربية وأوروبية تناهض الاستعمار وتوحّش الإيديولوجيا الأوروغربية المتحكّمة في العالم، تعلو أصوات الفلاسفة والسوسيولوجيين والأنتروبولوجيين والكهنة وكبار الأحزاب منددّة بالظّلم المسلّط عليهم وعلى حرّيتهم الفكرية وعلى الشّعوب الضّعيفة المستعمرة ماليا وثقافيا وعسكريا وتكنولوجيًّا.

ونعتقد أنّ كتابة المقالات في هذا المضمار أو إنجاز دراسات لا يكفي، ولكن من الأفضل توحّد الجهود عالميا لبناء تشكيل ثقّافي عالمي يؤمن بحرّية الأديان واختلاف الثقافات ويجمع النُّخب المثقفّة تناضل من أجل استرداد حقوق الإنسان المسلوبة وترميم الأخلاق التي أصابها زيغ وتشوّه. لأنّ أصوات أحرار العالم المنددّة بالظّلم المسلّط على الإنسان والبلدان الضّعيفة لا تكفي فالأمر يتطلّب انتفاضة عالمية من أجل ضمان حقوق الإنسان.

وإنّنا نعتبر أيّ شكل من أشكال الاستعمار هو شكل من أشكال السقوط الأخلاقي وهدم لإنسانية الإنسان وتدمير للأمن والسّلام وتضييّع لإمكانية تعايش وتقارب الشعوب بعيدا عن السّلطة الحاكمة، والتّاريخ عامر بالظّالمين، والصهيونية صناعة متشقّقة من صناعات الظّالمين وصناعة غربية أوروبية، تركوها ترتع وتجرّب أسلحتها وخططها في فلسطين وتقتل الأبرياء وتشارك في محاولة زعزعة أمن السّودان وأوطان أخرى خفية وعلنا، أوطان رفضت التّطبيع والقبول بهذا الجسم الصهيوني المشوّه.

وتحاول الاستقلال بثقافتها ونزع كلّ أشكال التبعية والخنوع، وتسعى إلى التّعامل مع الغرب وأوروبا وفق معايير الاحترام والحياد. لكنّ الآن ومنذ قرون الغارات تشنّ على الهويّة العربية الإسلامية والتّاريخ العربي الإسلامي والقضايا المصيرية. والمجتمعات عربية تتهدّدها عديد المخاطر في الأوطان والعباد والمصير والمستقبل والأمن والاستقرار جرّاء أسباب قطرية وأخرى إقليمية، منها خيانة المجبولين على الغدر والخيانة، الذين آثروا الوقوف في صفّ معسكر الظّلم العالمي وخاتلوا بالعون والمدّ والخدمة الرّخيصة التي تزيدهم ذلاً.

إنّا نرى نذر زوال الامبرالية والصهيونية لاحت وأضحى الهبوط في مطامير الدّمار آت لكلّ من حارب سعادة الإنسان واغتصب حقوق النّاس واستبدّ بشوكة السّلاح والسّلطة والكيد. إنّ من واجب المؤمن أن يمتثل لمراد الله وتدبيره في الكون، ولكن آلة الامبريالية القبيحة استكبرت ومارست تذبيح الأبرياء ودمار الأوطان بغير حقّ ولا موجب، وإنّ الصهيونية بعماراتها الخربة صحبة تأييّد حزب المنافقين أنصاف البشر ترقص رقصاتها قبل الأخيرة وهي إلى زوال قريب، إنّ وعد الله حقّ، والإنسان بنيّته وأعماله، وليس بكيده وشيطانه، وطالما نيّة التّحرر والتّصدي لقوى الشّر والبغي متوفّرة فلا تنطفئ جذوة المقاومة السيكولوجية والحضارية والثقافية.

وإنّ تحرير الأنفس والأوطان قريب، ولذلك منذ عهود سحيقةكان الإنسان يفتّش عن سبل التّحرر من قيود النّفس والغرائز ويصارع قوى الشّر لمّا أدرك ويلات سجون النّفس وظلمات سطوتها. وكانت الرّسائل السّماوية ملاذ التّائهين من البشر كلّما احتدمت المعارك البشرية مع الواقع المعيش والمجهول الغامض وتوحشّ الإنسان وتغوّله، وكان ترقّب المجتمعات لكلّ رسالة قادمة من وقت إلى وقت ولكلّ نبيّ مُرسَلٍ وآتٍ بغدٍ مشرق وأمن موعود وسلام منشود.

وبقدر ما كانت المعارك طاحنة بين الشّعوب والأمم وداخل المجتمعات نفسها من أجل السّلطة والمال والنّفوذ والمصالح المشتركة أو الفردية القبلية أو الجماعية بقدر ما كانت الحيرة تزداد تأجّجا في قلوب الشّعوب والأمم، من هو المنقذ من الضّلال؟ متى ساعة الخلاص من الظّلم والتّيه؟

النّبي محمّدالمثقّف العالم مُحرّر الإنسان والأوطان، ناشر الإسلام والسّلام

وكانت رحمة الله لا تغادر البشرية منذ نزل آدم إلى الأرض بعد أن أنهى اختبار البقاء في العالم العلوي، وانطلق يعمّر الكون وينجب ويبني ويأنس ويستأنس، فكانت سلسلة الأنبياء ممتدّة متواصلة غير منقطعة رحمة من عند الله لهذا الإنسان الظّالم لنفسه.إلاّ أنّ اشتعال نيران الخصومات والحروب وارتفاع قامة الظّلم وتمرّد الظّالمين والكهنة والسّحرة ومحرّفي الأديان ومدلّسي التّاريخ ومختلسي المخطوطات والأنساب قد زاد وازداد، لكأنّها نُذر حرب كونية قد لاحت. ورغم ذلك فصوت الحقّ لا يترهّل ولا يضعف ولا يخشى سطوة الظّالمين / فأين هو مفهوم التوليرانس المتولّد عن حركة الإصلاح الدّيني الأوروبي؟ هل استطاع هذا المفهوم الأوروبي أن يغيّر الذهنية الأوروبية والغربية عموما ويساعد على إنتاج علاقة جديدة مع الآخر العربي المسلم ؟

كلاّ لا نعتقد ذلك، لأنّ الإصلاح الدّيني الأوروبي عجز عن تحقيق ذلك بدليل الانشقاق الحاصل داخل الدّين الواحد، ولم يقدر الدّيني الأوروبي على تخليص المجتمعات الأوروبية والغربية عموما من قبضة الإرث التقليدي، بينما اعتمد المسلمون على الدّين الإسلامي لأنّه يحفظ الهوية من التلاشي والذوبان ويغذّي الجانب الرّوحي والسلوكي ويعدّلهما وينمّي أشكال المقاومة لقوى البغي والشرّ العالمية.

ونعتقد أنّ حاجة العرب والمسلمين عموما الآن إلى إذكاء الأخلاق الإسلامية وتفعيل الآداب النبوية في المعيش اليومي وفي تصريف الشؤون وإصدار القرارات واقتراح مشروع الإصلاح المجتمعي، أصبح أمرا ملحّا وأكيدا، ونعتبر العودة إلى النّموذج الأخلاقي النّبوي أفضل حلّ لكلّ المسائل المجتمعية المطروحة والتي عجز الإسلام السياسي عن فضّها بل زاد في تعميقها، ونعتقد أنّ الإصلاح أصبحا موكولا إلى كلّ عربي مسلم أو غير مسلم، لينهض بأخلاقه ويصلح وضعه ويقيّم محاصيله من جهة وإلى العلماء من جهة ثانية فهُم القيادة الأقدر على تصريف شؤون المجتمعات وتقديم حلول، فالحكم الصّالح الذي يمكن أن يكفل رقي الشّعب ويحقّق العدل ويدعم إنسانية الإنسان ويرسّخ الأخلاق والقيم ويدعم أسباب التّعايش ويوفّر فرص النّجاح والتنمية والتّربية والتّعليم.

ويحاول انتشال الجيل الصّاعد من التّيه والفردانية السّيئة بممارسة تعليم متين ورعاية الطّفولة والمرأة وإنماء روح الهّوية العربية الإسلامية وغرس عقيدة التشاركية والتّعاون ويحضّ على التّفكّر والإبداع وممارسة الفنون وينفتح على حضارات وشعوب العالم، ممّا يعزّز قيم التعايش والتّسامح والتّعاون الموصولة بمضامين القرآن وهي التي أخذت منها الأمم لتبني منظومة قانونية أممية تجمع شعوب العالم حول العدالة والتّسامح والدّيموقراطية وحقوق الإنسان، وتمارس العدالة وحقوق الشعوب في تقرير المصير وفي استقلال أوطانها، نعتقد أنّ المثقّفين والعلماء هم الأقدر على تحمّل عبء الإصلاحية الأخلاقية والمجتمعيّة وعلى قيادة الشّعوب إلى الخير والسّلام، ومن الضّروري الإنصات إليهم وتشريكهم في صياغة المشاريع الإصلاحية في مختلف المجالات. ولقد كان النّبي محمّد عالما مثقّفا منبع علم وعمل، مُقتدى الخلائق، خُلقه القرآن،تشاور مع أصحابه باعتبارهم النّخبة العربية المثقّفة الأولى، واستأنس بأفكارهم، ومارس دوره كأفضل ما تكون الأدوار في تغيير الواقع من نظام ظلم وانغلاق وانحطاط أخلاقي وتشتّت قبلي وتعصّب إلى نظام عدل وانفتاح وسمّو أخلاقي وسلام وتعايش وتسامح.

وإنّا نتساءل اليوم بأيّ معنى تقتّل الصهيونية الإسرائيلية الأطفال والشيوخ والنّساء وتهدّم البيوت وتغتصب أرض فلسطين وتنشئ المستعمرات؟ لقد أصبح أمر مواجهة هيمنة الإمبريالية العالمية وثقافة الغلبة والتوتالتارية الغربية ضروريا بسلاح الوعي بأهمّية المعرفة والأخلاق وممارستهما فرديا وجماعيا، والإقبال عليهما لأنّهما التّرياق المفيد لمعضلة الهشاشة التربوية العربية والأخلاقية، أضحت القناعة بفوائد التّصنيع والإبداع وتآلف مكوّنات المجتمعات العربية مسألة مصيرية يتعلّق بها إنقاذ المجتمعات العربية البائسة، وغضّ النّظر عن الاختلافات الفكرية والمرجعية واعتبارها عنصرا دافعا وجامع للجماهير، لا عنصر تفرقة وانتقام وإقصاء للكفاءات والمفكّرين والخبراء وعامّة النّاس.

فالوطن يجمع الجميع والهوية العربية أمُّ الجميع، وهكذا ننتقل من انتظار مشاريع سياسية للإصلاح قد تنجح أو تفشل

إلى المشروع مضمون النّجاح وباهر النتيجة، ألا وهو إصلاح كلّ فرد عربي لحاله وفكره وأخلاقه وعائلته ومن هُم في عهدته، واضطلاعه بواجباته بأمانة بصرف النّظر عن الجزاء، وانكبابه على العلم وتشجيع أبنائه على الإقبال على المعارف والتّنافس فيها. ممّا يحقّق تقدّم الأوطان وتآلف المواطنين، بعد أن أصبح التّنافر السّمة البارزة للشعوب العربية داخل الأسرة وخارجها، ولعل ارتفاع النّسبة المائوية للطّلاق خير دليل على الدّرجة القصوى التي بلغها التّنافر بين النّاس في تونس وبلدان أخرى.

كذلك نسبة الانقطاع المبكّر عن التّعليم وتباعا نسبة الأمّية. وكذلك نسبة القضايا العدلية في الخلافات والعراك والظّلم المنشورة في أروقة المحاكم والخلافات الشغلية بين الأعوان ورؤساء عملهم، وانعدام التّواصل بينهم لإنجاز الشغل. أليست شهائد على ما ذهبنا إليه من تفسّخ أخلاقي وضعف إيمان بالله وتردّيالألفة والتآلف، فيبدو السّواد الأعظم قد فرّ من الله لا إليه، لقد نمت الكراهية بين النّاس وانتشر سوء التّفاهم والاستهزاء والتّحقير، ولم تعد ثمّة فرصا لقبول الآخر المختلف فكرا وثقافة ومزاجا وسلوكا، بل نرى ونسمع الكفر بمبدإ الاختلاف، والاختلاف سُنّة من سنن الكون، كما نرى امتعاضا من مبدإ الشورى والتّشاور ورفضا للتشاركية الفكرية والعضدية، كلٌّ يؤمن بنفسه ويعظّم لنفسه آلهة الأنا، وقالت العرب: « من قال أنا أنا فقد انتهى».

ولعلّ مردّ ذلك إلى ضعف إيمان الإنسان وتزمّته وانعدام أنشطة التّعاون والتآخي في الأنظمة التربوية وتشكيلات المجتمع المدني، وهي وإن وُجدت فهي بطيئة وضيّقة وفارغة من المفاهيم الجوهرية. ويتطلّب الأمر مراجعة جوهرية يقوم بها كلّ إنسان. والحاصل أنّ الإصلاحية الأخلاقية والتّربوية هي الضّمانة الحقيقية لتأسيس دولة وطنية، والخسارة هي إهمال الإيمان بالعلم والأخلاق أساس الإصلاح، فكيف نقتبس من الغرب، والغرب وأوروبا افتقدا إنسانيتهما حينما حاربانا في ثقافتنا وأوطاننا، إنّ المعارف والعلوم مع الأخلاق النّبوية يتكاملان في انتشال الإنسان من حيرة استبدّت به في مستهلّ هذا القرن، والرؤية الإصلاحية التي عرضناها في هذا المقال تتأسّس على إثبات الذّات وتأصيل الكيان والتّمسك بمنظومة الأخلاق والخصوصية الثقافية مع احترامنا للآخر وإن كانت إيديولوجيا هذا الآخر تمارس عدم احترامنا سرًّا وعلنا وفي المحافل، يتبدّى ذلك في المنتوجات والسّلع الواردة وفي نهب الثروات والتّلصّص على الأوطان، واستنزاف الكفاءات العلمية خرّيجي الجامعات العربية في مختلف الاختصاصات، نضرب مثلاً: من الذي أنقذ فرنسا وإيطاليا وألمانيا في أزمة كوفيد، أليسوا الأطّباء التونسيين والممرّضين ؟ إنّ هذه المقوّمات المذكورة يمكن أن توفّر شروط تأسيس دولة وطنية تعزّز الأخلاق والمعرفة والتّربية والإبداع والابتكار والسّلم والطمأنينة والعدالة، وتساهم في بناء محيط عربي هادئ وقويّ، فالقوّة من أسباب عزّة الشعوب وكرامتها في العالم وهي وقاية من شرّ الغرب وأوروبا وحماية من كيد الصهيونية المُهَدِّدَةِ للسّلام العالمي.

التقرير الأسبوعي لـ «التونسية للأوراق المالية» :

O.T.H تسيطر، SOTEMAIL في صعود وM.G في نزول

منحى السوق

- أقفلت السوق الأسبوع الممتد من 30 سبتمبر الى 4 أكتوبر 2024 وسط أجواء كئيبة مسجلة تراجعا بـ 0،7 ٪ عند النقطة 9908،5. لكن تونندكس حافظ مع ذلك على أداء إيجابي بـ 13،2 ٪.

- تميز الأسبوع بتسارع ملحوظ في نسق التداولات بلغ حجمها محفظة محترمة جدا بـ 202،6 مليون دينار.

وانتفعت التداولات كثيرا من دينامية سوق التبادلات بالكتل بفضل 4 تداولات أنجزت يوم الأربعاء 24 سبتمبر وجمعت محفظة بـ 173،6 مليون دينار. وشملت التداولات المذكورة أسهم مجمع وان تاك One Tech Holding (3 تداولات بالكتل بلغ حجمها 169،5 مليون دينار) وأسهم البنك العربي لتونس ATB (تداول واحد بالكتل حجمه 4،1 ملايين دينار) حسب تحليل الوسيط الرسمي ببورصة الأوراق المالية بتونس.

تحليل تطور الأسهم

- واصل سهم الشركة التونسية للتلا SOTEMAIL تصدّر قائمة التسعير. ودون أن يكون محلّ تداولات حقق سهم الشركة قفزة بـ 22،3 بسعر 1،590 دينار.

- كان سهم مجمع تواصل القابضة TAWASOL Group Holding ضمن أكبر الرابحين خلال الأسبوع المذكور. وحقق سهم المؤسسة التابعة لمجموعة شبشوب ارتفاعا بـ 7 ٪ بسعر 0،760 دينار وسط حجم محدود بـ 107 آلاف دينار.

- كان سهم المغازة العامة MAGASIN Général أكبر خاسر على مستوى تونندكس مسجلا تراجعا بـ 9،2 بسعر 6،710 دينار وسط حجم تداول زهيد بـ 6 آلاف دينار.

- بفضل التداولات بالكتل المذكورة آنفا تصدّر سهم مجمع وان تاك One Tech Holding قائمة التداولات محققا قفزة بـ 3،5 ٪ بسعر 9،450 دينار ومغذيا السوق بـ 173،8 مليون دينار.

مستجدات السوق

- بورصة تونس : تطور النتيجة الاجمالية للشركات المدرجة بالبورصة خلال السداسي الأول من عام 2024 :

كشفت النتيجة الاجمالية بعنوان النصف الأول من عام 2024 المحققة من طرف الـ 62 شركة المدرجة بالبورصة والتي نشرت قوائمها المالية بالنسبة للسداسي الأول عن تحقيق ارتفاع بـ 9،3 ٪ مقارنة بنفس الفترة من عام 2023 ليبلغ حجمها 1431 مليون دينار مقابل 1309 مليون دينار.

ومن ضمن الـ 62 شركة المدرجة بالبورصة والتي نشرت قوائمها المالية للسداسي الأول من هذا العام، حققت 35 شركة خلال السداسي الأول من عام 2024 نتائج إيجابية مقارنة بنفس الفترة من عام 2023. واحتكرت الشركات التي يتكون منها تونندكس 20 وحدها 85 ٪ من اجمالي النتيجة الاجمالية للسداسي الأول بما مثّل تحسنا بـ 11،7 ٪ مقارنة بنتيجة السداسي الأول من عام 2023 وتمثل ذلك في 1221 مليون دينار مقابل 1093 مليون دينار خلال السداسي الأول من سنة 2023.

- مجمع تلنات القابضة TELNET HOLDING Group : القائمات المالية المدمجة الى حدود 30 جوان 2024 :

نشر مجمع تلنات القابضة TELNET HOLDING Group قائماته المالية المدمجة بعنوان نشاط السداسي الأول من عام 2024. وأظهرت النتائج تحقيق رقم معاملات المجمع تطورا بـ 11،5 ٪ بحجم 34،2 مليون دينار وركود على مستوى حصة صافي الربح عند 4،3 ملايين دينار.

- الشركة العقارية التونسية السعودية SITS : إيداع مشروع عرض عمومي للشراء طبقا للإجراء المبسّط :

تلقى مجلس السوق المالية من إدارة الشركة العقارية التونسية السعودية SITS مطلبا لاصدار عرض عمومي للشراء طبقا للاجراء المبسط يتعلق بـ 2،336815 سهما للشركة تمثل 14،98 ٪ من رأسمالها.

وجاء مشروع هذا العرض بمبادرة من شركة PARTNER INVESTMENT ذات المسؤولية المحدودة وبمشاركة شركة Founders Capital Partners اللتين يمتلكان معا 85،02 ٪ من رأسمال الشركة العقارية التونسية السعودية SITS.

إشهار

الرجل الذي يسكن المرافئ.. كائن غريب لا يدري ما مصيره

بقلم عبد السلام الككلي

الظلام يهبط خلسة ..يوشك هذه الأيام أن يبلغ عنفوانه. ولا ينفك الوحيد في وحدته يدفع الصخرة الصماء ...يستمر العناء مستنزفا الدقائق الحرجة وليس في إمكان الغريب سوى أن يواصل الحركة رغم خشيته أن تسحبه حركته نحو العمق أكثر فأكثر، كأنه في قلب الرمال المتحركة.

«ما من طريق ملكي الى العبودية»

تعنّ له خواطر غريبة وتزيّن له نفسه أن يولي وجهه شطر طريق العودة ليبلغ الدرك الأسفل من الطمأنينة الزائفة و الارتياح الأحمق. ولكنه قد نزع عنه منذ دهر أسماله البالية وتركها لعشاق بقايا السلف الصالح. انه ليأنف الآن من استعادتها « فما من طريق ملكي إلى العبودية» ويواصل الحركة « لقد كان سيزيف سعيدا « . أما هو فما سولت له نفسه قط أن يحمّلها ما لا طاقة لها به .ولم يحمله زيغ الهوى أبدا على أن يخرج على الناس وفي نفسه نية بيّتها لبث النور في الأعين التي تنظر فلا تبصر.لم يكن يوما طريقا ...لقد انجلت الغواية عنه غير أنه مازال يرى روح سيزيف تعبر المدن الصامتة الساكنة في الكهوف. فيضيق بالروح الحيرى أولئك الذين أطمأنت قلوبهم فيدينونها ويرمونها بحجر وهم المذنبون... يحسبون أن نقاء الضمير لا يكون إلا برجم المارقين عن الصف ...لا ود لهم في الاختلاف لان الاختلاف لديهم مفسد للود لكنهم يصرخون بعكس ذلك زورا إذ لا يحكّمون غير حروف الآيات في ما يشجر بينهم وبين من لم يقرؤوا الكتاب إلا ليكتبوه بأيديهم من جديد بمقاصدهم لا بحروفه .

لا حرية إلا مع الاغتراب عن الهوية.

ذكرته حكاية سيزيف بقصة الفتى الأفلاطوني ذاك المتحرر من سجنه. لم يكن يعلم عندما أطلقت بعض المعرفة سراحه أن الاغتراب ينتظره في المنعطف الأول من طريق الحرية ، في مدخل نهج الثورة... ... لا حرية أحيانا إلا مع الاغتراب عن الهوية... فالعالم لديه لا يمكن أن يقسم بين مواطن وآخر بل بين مواطنين وغرباء ، بين عقلاء ومجانين . والمجانين هم جماعة الخاص والانتماء، جماعة الوطن المنغلق على خصوصيته الزائفة وعلى روحانيته السجينة التي تتغذى من محاربة الإنساني ولا تكون إلا بفقدان نور الكوني في لا حدوده . الهوية عند البعض لا تكون إلا بخلق تعارضات زائفة بين الروحي والإنساني كما يعتقد الفلاسفة المزيفون . أما هو فمتنقل بين كل الروحانيات ،بين كل الحقائق جميعا من بوذا إلى خاتم الأنبياء... ومن طرفة بن العبد الى زوربا اليوناني... إن العقلاء هم أولئك الذين لا وطن لهم. إنهم البدو الرحل والساكنون على الدوام في المرافئ . لا يرتحلون بعيدا أبدا لأن المرء إذا ارتحل وجد قومه،» تأصّل» من جديد بفعل الحنين. وهو المقطوع عن الجذور التي تشتم منها رائحة الموت يخشى على الدوام الحنين وألم العودة التي قد لا يحين أوانها أبدا ... عجبا لقومه لا ينتخبون إذا طلب منهم ذلك غير أولئك الذين يؤصلونهم في الحنين إلى الخاص كما علمتنا كل تجارب المؤامرات الوهمية على الوطن والمصير.

اما الساكنون في الموانئ فهم الحالمون بالرحيل من دون حاجة إلى اعتلاء ظهر سفينة ... المرفأ ملتقى كل الغرباء. يجتمعون على نخب لا احد يعلم متى يقرعونها مرة أخرى . أما الهوية التي يبشر بها الخارجون من الزمن الغابر فليست غير جزيرة مقطوعة عن الجزائر .. الوطن جزيرة ومنفى وانقطاع... والهوية معادية للشعر لان الشعراء غاوون يتبعهم الغاوون ... لقد ألف قومه السلاسل في كهفهم واعتادوا الأغلال فهم في تجانسهم كالجثة الواحدة وان كانوا في وهم ذواتهم أحرار .

أجل أنا وحيد لكنني حر!

لقد تحرر الفتى من ظلمة الكهف و ما به من رغبة أن ينشد الحياة كرّة أخرى بعين سجين ...انسلّ من القطيع فانجلت عن عينه الحجب، حجابا غبّ حجاب. لكن أنّى له الخلاص من الألم وآلام السجناء المستعذبين شقاءهم تسكنه؟

كلما جاء سيد لا سيد له يدعوهم ان فكوا أغلالكم واكسروا قيود الأوهام والعقائد البالية عنكم أبوا واستكبروا وأخذتهم العزة بالإثم .وليس يدري بعد هذا على وجه الدقة ما إذا أمسى بانكساره غليظ القلب أو أن ضربا من الرأفة بهم أخذته . لا يذكر أن أفلاطون قد حدّث عما كان من أمر السجين المتحرر بعد رجوعه عن خلانه، لكنه يرجح انه تنفس الصعداء كلما أحس بجوهر الحرية يتنفس في ذاته. ويتخيله يردد «اجل أنا وحيد لكنني حر» ويرجح أيضا أن ارتياحه يتداعى كلما ألزم نفسه بمسؤوليته تجاه الغاضبين منه. انه يخشى على قومه أن يقضوا تحت أنقاض الأبنية العتيقة الخربة التي احتموا بها . أيبعثهم بعثا آخر. لكن هل يؤمن بالبعث من فقد الإيمان منذ أن اكتشف أن الكون مليء بالثقب السوداء؟ ورغم ذلك يحلو له أن يردد أحيانا في نفسه ولنفسه «ويل للذين يموتون ولا يبعثون» ...يمضي اليوم وقد تخلف عن سبيلهم لأنه سار في غير طريقهم ولكن يعسر عليه أن يتركهم لأنهم فيه وبعض منه .ويرجع من أقصى المنفى يسعى إليهم وقد أوتي بسطة من العلم خشية أن يكون فريسة للاستعلاء ...تمضي أيامه ولياليه في تلكم الحركة جيئة وذهوبا فمازال مفهوم الغير المختلف الذي لا تكون غيريتك الا بوجوده - آخر تجاه آخر مؤتلفان مختلفان متحرران من همينة عقيدة الشبه والوحدة والتجانس- يترك في نفسه بقعا داكنة..

إن فيه شيئا من مجد بروميتي المتمرد الذي سرق النار من الآلهة فمازال صدى قولته الشهيره يتردد بين ضلوعه» إني لا استبدل ألامي المبرحة بعبوديتي .«

كائن غريب لا يدري ما مصيره.

تراءت له كل هذه الصور وبرزت كرؤيا شاذة مفزعة وقد أوشك الظلام على بلوغ عنفوانه. رؤيا فيها حزن سيزيف وتمرد الفتى الأفلاطوني وإصرار بروميتي وغربة التوحيدي ونكبة ابن رشد وآلام الفتى المصلوب على الخشبة. استعاد ذلك كله على نحو غامض وهو يفكر في كائن غريب لا يدري ما مصيره غير أنه وحيد دائما ،عاشق لوحدته وغرابته ،يحمل الوطن والألوف في ذاته ولكن ينشد العالم الأرحب، مغترب في كل العصور وغالبا ما تلفظه الألوف، وغالبا ما يعافه وطنه... ولكنه لا ينفكّ يحمل صليبه على كتفيه وتاج الشوك على رأسه...إنه الغريب في غربته... إنه المثقف.

سيناريوهات ضرب ايران :

خطوة أولى على طريق «الشرق الأوسط الاسرائيلي» ؟

الحبيب القيزاني

يعيش العالم على وقع حالة من الترقّب لحدود وأبعاد التهديد الذي أطلقه نتنياهو بـ «دفع ايران ثمن» هجومها الصاروخي الثاني على قواعد عسكرية ببلاده ردّا على اغتيال إسماعيل هنيّة فوق أراضيها.

قبل ذلك وجب التوضيح أن الحديث عن «ردّ» إسرائيلي هو انسياق وراء المغالطة والافتراء الصهيوني الخبيث الذي يجسد فكرة المثل القائل «ضربني وبكى... سبقني واشتكى».

ذلك أنه لا يجب نسيان أن الاشتباك مع طهران جاء نتيجة عدوان إسرائيلي على قنصلية ايران في سوريا. والمنطق هنا أنه لا يمكن الحديث عن «ردّ» إلا بالنسبة لإيران باعتبار أن «البادئ أظلم» والبادئ هو إسرائيل.

فما يحدث أن نتنياهو ومن ورائه الصحافة التي تدور في فلك اللوبي الصهيوني العالمي يقلب الحقائق وحديثه عن «ردّ» هو في الحقيقة تصعيد عبر تكرار الاعتداء على ايران. وقد سبق له أن كشف في عديد خطاباته أنه لن يهنأ له بال ما دام لإيران برنامج نووي.

والحديث والتسريبات الصحفية بوسائل الاعلام العالمية تدور هذه المرة عن بناء تحالف أطلسي يضم أمريكا وبريطانيا وإسرائيل وفرنسا (تماما مثلما حدث مع العراق بذريعة امتلاكه أسلحة دمار شامل» اعترف أكثر من مسؤول غربي بعد غزو بلاد الرافدين بأنها كانت كذبة لتبرير شدة عدوان «الصدمة والرعب» الذي تم التخطيط له) لضرب ايران و«تقليم أظافرها» في المنطقة (سوريا ولبنان واليمن والعراق) وذلك لفسح المجال لـ «بناء شرق أوسط إسرائيلي» وفرض التطبيع على دول المنطقة ولو بالقوة.

فرغم حرب الإبادة التي شنتها إسرائيل على قطاع غزة ظلت ايران بعيدة عن الحرب وكذلك حزب الله لكن كانت لنتنياهو أجندة لتوسيع دائرة العدوان ليعمد سلاح الجوّ الإسرائيلي الى شن غارات على قواعد حزب الله بدعوى أن صواريخه تسبّبت في هجرة سكان شمالي بلاده وأن الحلّ هو تدمير قواعده. ثم تحول الاعتداء الإسرائيلي الى غارات كثيفة على معقل حزب الله بالضاحية الجنوبية من بيروت واغتيال عدة كوادر منه وعلى رأسهم أمينه العام حسن نصر الله ثم خليفته هاشم صفي الدين فيما تدور أنباء عن اختفاء إسماعيل قاآني قائد فيلق القدس. وبينما أكد الاعلام الاسرائيلي مقتله نقلت وكالة "رويترز" عن مصادر ايرانية أنه بخير وأنه متوجد بطهران لتتحول المواجهة الى حرب مفتوحة اثر زحف الجيش الإسرائيلي على جنوب لبنان ليس لاجبار حزب الله على التراجع الى ما وراء نهر الليطاني مثلما يروج لذلك نتنياهو وإنما للقضاء على قواعده ووجوده العسكري مرة واحدة باعتباره يمثّل «تهديدا لأمن اسرائيل» (حبل الكذب لديه بلا نهاية لأنه يتغافل عن أن بلاده مازالت تحتل جزءا من التراب اللبناني ويعتبر المقاومة إرهابا بل ونجح اللوبي الصهيوني العالمي في ادراج

حزب الله بقائمة «المنظمات الإرهابية»).

لكن مخطط نتنياهو لا يتوقف عند «تدمير حزب الله» وإنما المرور بعد ذلك – طبعا اذا حصل له ما يريد – الى ضرب ايران «محور الشر في المنطقة» حسب تعبيره إضافة الى محاولة محو الحديث عن جريمة حرب الإبادة التي ارتكبها جيش بلاده في قطاع غزة. فوسائل الاعلام العالمية «نسيت» أو تناست المجازر التي تعرض لها أهالي قطاع غزة وباتت عناوينها وتحليلات كتابها و»خبرائها» منصبّة على الحرب مع حزب الله وعلى «الردّ» على الضربة الصاروخية الثانية التي وجهتها ايران للقواعد العسكرية الإسرائيلية. هذا هو المطلوب الذي يريد نتنياهو أن يراه ولا شيء غير ذلك.

أين روسيا والصين ممّا يقوم به نتنياهو؟ السؤال مشروع باعتبار أنه يذكّر بأهمية بلدان منطقة الشرق الأوسط وصراع القوى العظمى عليها. والسؤال الأخطر هو : أين العرب ممّا يُدبّر لمنطقتهم التي تعتبر استراتيجيا أهم منطقة في العالم؟

الثابت أن ايران باتت منذ أشهر أحد أضلع الحلف الاستراتيجي الروسي – الصيني في مواجهة الحلف الصهيو – أطلسي. فايران أحد أعضاء مجموعة «بريكس» وليس صدفة أن يؤدي رئيس وزراء روسيا قبل الردّ الإيراني الثاني على إسرائيل زيارة الى طهران وليس صدفة أن تمدّ طهران موسكو بالمسيرات والصواريخ لدعم مجهودها في الحرب التي تخوضها بأوكرانيا ضد حلف «الناتو». كما أن امداد الروس الإيرانيين بمنظومة دفاعات جوية متطورة وبصواريخ «إسكندر» لم يأت من فراغ.

لذلك من المستبعد أن تكون روسيا بعيدة عن المشهد الذي ينتظره العالم ومن المستبعد أيضا ان تبقى الصين التي تربطها بايران اتفاقية تعاون استراتيجي مكتوفة الأيدي ولا تدعم طهران خصوصا في ظل احتمال تعرض منشآتها النفطية الى التدمير بما يحرم بكين من ملياري برميل نفط شهريا ضروريين لدوران عجلة مصانعها ولتموين قواتها البرية بما يضرب اقتصادها في مقتل الشيء الذي احتارت أمريكا في تحقيقه بالعقوبات.

أما العرب فمحكوم عليهم في ظل وضعهم العام بـ «التفرّج» رغم وجود خطر لجوء ايران في صورة تلقيها ضربة قاصمة الى تدمير منشآت وحقول نفط دول الخليج لحرمان الدول الغربية من النفط شريان اقتصاداتها والتسبب في أزمة اقتصادية عالمية. فقد أصبح واضحا ان الحرب اذا اندلعت ستكون أساسا حربا بالوكالة : ايران نيابة عن المحور الروسي – الصيني من جهة وإسرائيل ومعها أمريكا وبريطانيا وفرنسا باسم التحالف الأطلسي.

كيف سيكون اذن حجم الضربة التي توعد نتنياهو بتوجيهها الى ايران؟ هل تضرب تل أبيب المنشآت النووية الإيرانية؟ أم تضرب حقول النفط والمصافي ومعامل تكرير النفط أم أن الاختيار سيتم على مواقع أخرى استراتيجية؟ من المرجح ألاّ تكون الضربة المنتظرة قاصمة. أي أنه لن يتم الاقتراب من المنشآت النووية الإيرانية ولا حتى المنشآت النفطية لأن ضرب المنشآت النفطية قد يدفع ايران الى ضرب المراكز النفطية بدول الخليج وكذلك القواعد العسكرية بالمنطقة التي لا يخفى على أحد أنها تحتضن قواعد عسكرية أمريكية وبريطانية أساسا سبق أن كانت مسرحا لانطلاق الطائرات الحربية لضرب العراق.

أما استهداف المنشآت النووية الإيرانية فمعنى ذلك دخول العالم في حرب عالمية ثالثة. وبدل أن تنطلق شرارتها من أوكرانيا قد تنطلق من منطقة الشرق الأوسط لأنه في صورة تعرض طهران إلى تدمير برنامجها النووي لن يتبقى لها ما تخسر لأن ذلك يعني منعها من اكتساب قوة الردع اللازمة لبناء مستقبلها واكتساب سيادة إقليمية ودولية.

وهنا من المحتمل ان تتدخل روسيا والصين وقد يشهد الصدام نقطة تحول كبير ربما يقود الى حرب عالمية ثالثة. فموسكو تماما مثل بكين يريان في ايران شريكا استراتيجيا في توازن القوى مع الحلف الغربي بزعامة أمريكا.

في الاثناء يعمل الاعلام العالمي على ادخال قضية فلسطين طي النسيان ليبقى السؤال : أين العرب من كل ما يحدث؟

مهما يكن فإن اسرائيل باتت في موقف معقّد. فهل يدفع جنون العظمة نتنياهو الى جر العالم نحو حرب عالمية ثالثة؟

"فليموتوا" !

في حوار أجرته معه القناة التلفزية الفرنسية LCI يوم 29 سبتمبر المنقضي حول الوضع في الشرق الأوسط أجاب لويس ساركوزي ابن الرئيس الفرنسي الأسبق نيكولا ساركوزي في حديثه عن حرب الإبادة التي تشنها إسرائيل على المقاومة الفلسطينية وحزب الله اللبناني : "فليموتوا... إسرائيل تقوم بعمل نيابة عن الإنسانية جمعاء... ليس لي أي ندم على هذا المستوى... فليموتوا كلهم".

... مجرّد لحم !

موقع "الشبكة العالمية" نشر مقطع فيديو يظهر فيه جندي أوكراني قال إنه يدعى ماكسيم شفشانكو وحيدا وفي حالة كئيبة بعدما وقع أسيرا في يد القوات الروسية.

الجندي اعترف بأن وضع قوات بلاده صعب للغاية على كل الجبهات متوجها بنصيحة الى شباب ورجال أوكرانيا بتجنب تجنيدهم بالقوة.

وقال الجندي في مقطع الفيديو : "أنصح من لم يتم تجنيدهم بعد برفض الالتحاق بالجبهات وانصح الذين تم الزجّ بهم في الحرب بالهروب مع أوّل فرصة تسنح لهم".

وأضاف : "لم يكن أحد من الجنرالات أو الضباط المتواجدين بالجبهات يعاملوننا كآدميين. كنا مجرّد لحم مخصص لمدافع الجيش الروسي وكنا نرغب في الهروب لكن لم تكن أمامنا أية وجهة يمكن اللجوء اليها".

قضية بستولتنبرغ

موقع Mondialisation كشف أن مواطنا فرنسا يدعى باتريك باسان رفع الى النيابة العام ببروكسيل قضية بالأمين العام السابق للحلف الأطلسي جانس ستولتنبرغ.

باسان اتهم في دعواه ستولتنبرغ بعدم العمل على منع نشوب الحرب بأوكرانيا وبالدفع بدلا من ذلك نحو تأجيجها في مخالفة مفضوحة لميثاق الأمم المتحدة وميثاق الحلف الأطلسي.

كما أتهم الرجل ستولتنبرغ بالدوس على حقوق الانسان التي ينص عليها دستور بلجيكا باعتبار أن مقر الناتو يقع بعاصمتها بروكسيل وبأنه ساهم في وقوع أعمال معادية لبلجيكا تعاقب عليها المجلة الجنائية ببلجيكا.

لبنان... أرض يهودية ؟!

"حركة الاستيطان بجنوب لبنان" (Uri Tzafon بالعبرية) بدأت منذ أيام في الترويج لبيع شقق كبيرة تحتوي على مسابح وذلك مقابل أسعار لا تقل عن 300000 شيكل (80000 دولار).

أحد الإعلانات التي تنشرها الحركة يقول : "بعد القضاء على قادة حزب الله، من حقك ان تحلم بمنزل واسع يطلّ على جبال تغطيها الثلوج وسط أناس يستقبلونكم بكل ودّ في أرض أجدادنا".

وجاء في احدى فقرات إعلانات الحركة ان "استيطان جنوب لبنان ضروري لأمن إسرائيل" وأن "لا شيء يمنع الجبهة (جنوب لبنان) من التحوّل الى قلعة إرهابية الا وجود مدنيّ إسرائيلي يضمن مراقبة مستمرة للجهة".

وقد نشر موقع الحركة المذكورة مؤخرا خريطة لجنوب لبنان تضمّ ما لا يقل عن 300 مستوطنة جديدة مع أسماء باللغة العبرية للمدن والقرى اللبنانية التي تقع جنوب نهر الليطاني.

أما حركة Uri Tzafon فقد ظهرت لأوّل مرة في شهر مارس 2024 وهي حركة تدعو الى احتلال جنوب لبنان زاعمة أن ذلك "يضمن أمنا حقيقيا ودائما لشمال إسرائيل" و"يسمح للبلاد باستعادة الأراضي المذكورة في التوراة".

وقد اطلقت الحركة في سماء جنوب لبنان مؤخرا مناطيد صغيرة تحمل رسائل تدعو فيها سكان مدن وقرى جنوب لبنان الى "اخلاء المدن والقرى حالا لأن هذه الأرض الإسرائيلية ملك لليهود".

من جهته دعا الحاخام إسحاق غانسبورغ الى غزو جنوب لبنان واستعماره محرّضا على "توجيه ضربة قاصمة للعدوّ" مؤكدا على أن "لبنان تابع لأرض إسرائيل" وعلى أنه "هبة من الله لليهود".

قائمة سوداء

موقع The Expose نقل عن المجلس العالمي للصحة أن السلطات الألمانية أصدرت "قائمة سوداء تضم نحو 200 طبيب ألماني سلموا شهائد اعفاء من حمل الكمامات خلال فترة تفشي وباء كورونا وأن ذلك أدى الى تعرض الأطباء المشار اليهم الى القمع عبر مداهمة منازلهم بلا اذن قضائي وتعرضهم الى المراقبة من طرف أجهزة أمن الدولة.

وحسب المجلس العالمي للصحة World Council for Health "تعرض العديد من الأطباء الى مداهمة منازلهم بشكل مفاجئ وتفتيشها وحتى التعرض الى اعتداءات بالعنف مع ما نتج عن ذلك من آثار نفسية إضافة الى اعتقال بعضهم وتعرض آخرين حتى للموت دون ذكر تسليط خطايا مرتفعة على بعضهم وتحميلهم مصاريف الإجراءات القضائية".

وأضاف المجلس المذكور ان "هذا الوضع حكم على الأطباء المذكورين بملازمة الصمت وتسبب في عزل مهنة الأطباء وردعهم عن مساعدة المرضى خوفا من النتائج التي يمكن أن تترتب عن ذلك خصوصا في ظل تعرض العديد من الأطباء الى الثلب والافتراء عليهم في الصحافة المحلية بما أدى الى تعرض عائلاتهم الى المعاكسة وخصوصا أطفالهم".

وعبّر المجلس عن مساندته المطلقة للأطباء المعنيين داعيا الى إيقاف تتبعهم ومطالبا الحكومة الألمانية بالتعويض لهم عن "الجرائم المرتكبة في حقهم واحترام سلامتهم الجسدية".

وذكر المجلس أنه حصل على هذه المعلومات بفضل نداء بعنوان "شهائد الاعفاء من حمل الكمامات والمداهمات" قال انه صدر يوم 8 جوان المنقضي عن الدكتور Walter Weber رئيس جمعية الأطباء Arzte fur Aufklarung.

وبعدما عبّر المجلس عن اعترافه بالجميل لأداء الأطباء المذكورين واجبهم بكل شجاعة وفي احترام تام لقسم أبقراط القائم على شعار "عدم الاضرار بالغير أولا وآخر" دعا المواطنين الألمان للدفاع عن الأطباء المعنيين والمطالبة بإسقاط كل التهم الموجهة اليهم والتعويض لهم عن الأضرار المادية والمعنوية التي لحقت بهم مع تكريمهم على التمسك بالنزاهة المعنوية والعلمية.

لماذا لا نكون البرابرة...؟!

نبيه البرجي

هي ظروف هائلة، وهي قامات اسطورية، في مواجهة المقاومة اللبنانية، والمقاومة الفلسطينية، الأرمادا العسكرية الاسرائيلية، بالأسلحة الأمريكية الأكثر تطوراً، والاشد فتكاً، وبالترسانة الالكترونية التي ترصد حتى دبيب الملائكة في العالم الآخر (آلفن توفلر). لا بأس أن نستعيد كلام بابلو نيرودا عن حرب فيتنام، و»حيث أزهار الاقحوان تكسر ضوضاء الأعاصير».

اختلاف شاسع بين فيتنام بالـ 331690 كيلومتراً مربعاً، وبالـ40 مليون نسمة، آنذاك، وكل من لبنان وغزة، بالمساحة الضيقة وبالكتلة البشرية الضئيلة. كما أن الاتحاد الروسي غير الاتحاد السوفياتي الذي زود هو شي منه (والجنرال نغوين غياب) بـ 95 منظومة للدفاع الجوي الشديدة الفاعلية، اضافة الى 5000 مدفع مضاد للطائرات و500 طائرة و1000 مستشار عسكري.

المواجهة التي دامت بين عامي 1964 و 1973 أدت الى مقتل 58000 أمريكي، واسقاط 10000 طائرة من كل الأنواع، اضافة الى 2500 أسير ومفقود، لتتحدث النجمة الهوليوودية جين فوندا عن»عارنا الى الأبد» حين لاحظت أن الآلاف من الجنود الأميركيين عانوا من الصدمات النفسية بسبب «الأهوال العسكرية» بين مستنقعات نهر الميكونغ أو بسبب الهيروين والأمفيتامين والماريغوانا، لتظهر في البلاد «متلازمة فيتنام» Vietnam Syndrome.

الاختلاف أيضاً مع الحرب في أفغانستان بالـ 652860 كيلومترا مربعًا، وبالـ 40 مليون نسمة. وبما أسماه الجنرال ديفيد بترايوس «التقاطع الميثولوجي بين التضاريس البشرية والتضاريس الطبيعية». جبال وأودية لكأنها من كوكب آخر. ليقول «كنا نشعر، أنا وضباط القيادة بأننا نقاتل كائنات من كوكب آخر». الا يوحي الأداء الخارق للمقاومة في لبنان، وفي غزة، بأننا أمام كائنات من كوكب آخر؟

مللنا من الحديث عن غياب العرب، وعن غيبوبة العرب. لا نتصور أن هؤلاء الذين حشروا في غرفة شهرزاد (ولن نقول أكثر) يمكن أن يستيقظوا حتى يوم القيامة...

غريب ذلك القيصر الذي هو على يقين بأن الولايات المتحدة تراهن على تفكيك الاتحاد الروسي، مثلما حدث للاتحاد السوفياتي، على أن تشتري سيبيريا مثلما اشترت آلاسكا لالحاقها بالأمبراطورية، لا يتجرأ على بيع إيران، أو سوريا، لا منظومات الدفاع الجوي المتطورة، ولا الطائرات الحديثة، حجته أن مثل هذه الخطوة، في الظروف الراهنة، لا بد أن تحدث حالة من الجنون النووي لدى قادة الدولة العبرية، لنسال صديقنا فلاديمير بوتين «اي اسرائيل لولا القاذفات الأمريكية التي لكأنها خرجت، للتو، من أقاصي الجحيم». الأمبراطورية التي تجمع كل مواصفات الفردوس البشري والجحيم البشري في آن...

جوزف ستيغليتز، الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد سأل «متى نرمي بقبّعة الكاوبوي في سلة القمامة؟». هو الذي تنبأ بالزلزال المالي عام 2008، وكاد يفضي الى الزلزال السياسي، بعدما ناهزت تكلفة الحرب في أفغانستان والعراق 3 تريليونات دولار. باحثون في جامعة هارفارد قدّروا التكلفة بما بين 4 و 6 تريليونات دولار. وزير الدفاع السابق روبرت غيتس ندد بـ «ثقافة المال اللامتناهي»، على أنها «طريقنا الى الهاوية» !

الكاتب الأمريكي الشهير نورمان ميللر (مؤلف «أغنية الجلاد» و»العراة والموتى») لاحظ أن «رجالنا في العالم اما أغبياء أو مجانين». لم يقل الموتى أيضاً (موتى الأزمنة). أي مجنون ذاك، وفي «عالم اللامبالاة»، الذي يعتبر أنطونيو غريتريش، الآتي من ليل الحفاة في أمريكا اللاتينية بـ «شخص غير مرغوب فيه « Personna non grata، لنجاري الفيلسوف الفرنسي لوي التوسير في قوله «لا مكان في هذا العالم الا للبرابرة».

ولكن من يقود الكرة الأرضية سوى الدولة التي رجالها أغبياء ومجانين والبرابرة، والذين دائماً ينتهون مثلما يتنهي الامر بالثعابين (بغرس رؤوسها في الارض)؟

منذ ألف عام، ونحن ضحايا هذا النوع، أو ذاك النوع، من البرابرة. ودائماً العرب برابرة العرب. أولوية السيد «الالتزام الأخلاقي». من قرون انقضى زمن الأنبياء وزمن الأولياء، وحتى زمن الملائكة. قبل وفاته عام 1986، قال مؤرخ الأديان الروماني ميرسيا الياد «انتظروا خروج قدامى الآلهة من فوهات الجحيم». لقد خرجوا...

في هذه الحال، لو نكون مرة واحدة البرابرة في وجه البرابرة...

كيف نسفت إسرائيل استراتيجية واشنطن العالمية؟

مايك ويتني

ليست إسرائيل صديقة ولا حليفة للولايات المتحدة. فهي تهتم بنفسها مائة بالمائة من الوقت ولا يهمّها حقاً ما يحدث للآخرين. لقد تم غسل أدمغة الأميركيين ليصدقوا أن إسرائيل هي «كلبنا الشرس في الشرق الأوسط» الذي يفرض على السكان الأصليين الالتزام باتباع الطريق السويّ. ولكن هذا ببساطة غير صحيح. إن أنشطة إسرائيل في المنطقة تقوض المصالح الأمريكية وتلحق ضرراً بالغاً بصورة أمريكا العامة. وفي ما يلي ملخص للوضع كما لخصه خبير السياسة الخارجية جون مير شايمر:

«إن إسرائيل تشكل عبئا استراتيجياً يثقل كاهلنا. إنها مسؤولية كبيرة. دعوني أشير هنا إلى أن الولايات المتحدة لا تكتفي بتزويد إسرائيل بكميات كبيرة من الأسلحة والأموال. بل إنها تقدم هذه المساعدات بلا شروط. وهذا أمر جدير بالملاحظة حقا. فنحن لا نعامل إسرائيل كدولة عادية، بل نساعدها لأن هذا يصب في مصلحتنا الاستراتيجية. ولكن هذا ليس ما يحدث هنا. إن الولايات المتحدة تفعل ما تفعله بفضل اللوبي، (إيباك). إن للولايات المتحدة نظام سياسي تم إعداده على نحو يسمح لمجموعات المصالح بممارسة نفوذ كبير. إن اللوبي الإسرائيلي هو أحد أقوى اللوبيات في الولايات المتحدة، إن لم يكن أقوى لوبي على الإطلاق. وهو يبذل جهوداً هائلة لضمان دعم السياسة الخارجية الأمريكية لإسرائيل دون شروط. وهو يحقق نجاحاً باهراً. ومن المثير للإعجاب حقاً مدى قدرة اللوبي على إقناع صناع السياسة الخارجية الأمريكية بدعم إسرائيل».

إننا لا نلوم إسرائيل على كيفية التلاعب بالنظام، بحيث يعمل لصالحها، ففي نهاية المطاف تتصرف الولايات المتحدة بنفس الطريقة في مختلف دول العالم من خلال وسائل إعلامها ومنظماتها غير الحكومية وعملاء مخابراتها. لذا، فمن النفاق أن ننتقد إسرائيل لأنها تتصرف بنفس الطريقة التي نتصرف بها. ولكن هذا لا يغير من حقيقة أن إسرائيل تشكل عبئاً استراتيجياً، بل إنه في الواقع يؤكد هذه النقطة. ولنتأمل على سبيل المثال التطورات الأخيرة التي شهدتها مبادرة استراتيجية رئيسية (ربما لم تسمع عنها شيئا) ـ والتي تعتمد عليها القدرة التنافسية الأمريكية في المستقبل. وإذا خصصنا الوقت الكافي لفهم مدى أهمية هذه المبادرة بالنسبة لقوة أمريكا العالمية وازدهارها ـ في الوقت نفسه ولاحظنا كيف دمرت إسرائيل بكل وقاحة أية فرص لنجاح هذه المبادرة، لتمكّنا من تكوين فكرة عن مدى الاستخفاف الإسرائيلي بالمصالح الأمريكية.

عمّا نتحدث ؟

في العاشر من سبتمبر 2023، وقّع ممثلون عن الهند والإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والأردن والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة مذكرة تفاهم تلزم بلدانهم بخطة رائدة من شأنها أن تربط مرافق الإنتاج في آسيا بالأسواق في مختلف أنحاء الشرق الأوسط وأوروبا. وقد أطلق على الخطة اسم الممر الاقتصادي بين الهند والشرق الأوسط وأوروبا (IMEC)، وقد تم إعدادها كبديل لمبادرة «الحزام والطريق» الصينية الموسعة التي برزت باعتبارها المعيار الذهبي لمشاريع البنية التحتية عبر القارات. وتضم مبادرة «الحزام والطريق» أكثر من 125 دولة وتشمل 65% من سكان العالم. وهي أكبر مشروع للبنية التحتية والاستثمار في التاريخ، وهي تعمل على خفض تكاليف الشحن بشكل كبير، ودفع الإنتاجية، وتعزيز الرخاء. ويمثل الممر الاقتصادي بين الهند والشرق الأوسط وأوروبا محاولة من جانب واشنطن لإنشاء نظام بديل للتجارة يحتوي على العديد من ميزات مبادرة «الحزام والطريق»، والذي من شأنه ــ وفقًا للخبراء ــ أن يعزز قدرة أمريكا على المنافسة مع الصين في القرن الجديد. وبعبارة أخرى، تعتمد واشنطن على خطة الممر الاقتصادي بين الهند والشرق الاوسط واوروبا للحفاظ على مكانة أمريكا البارزة في النظام العالمي ومساعدة الولايات المتحدة في طموحها الأوسع لاحتواء الصين اقتصاديا.

هل يبدو هذا مهما؟

من المؤكد أن هذا صحيح. انظر الى هذا المقتطف من صحيفة «تايمز أوف إسرائيل» :

«أعلن الرئيس الأمريكي جو بايدن وحلفاؤه عن خطط لبناء ممر للسكك الحديدية والشحن يربط الهند بالشرق الأوسط وأوروبا، وهو مشروع طموح يهدف إلى تعزيز النمو الاقتصادي والتعاون السياسي.

وقال بايدن «إن هذا أمر هام، إنه حقا أمر هام جدا».

وقال جيك سوليفان مستشار الأمن القومي لبايدن إن من شأن الممر أن يساعد في تعزيز التجارة ونقل موارد الطاقة وتحسين الاتصال الرقمي. وان الممر سيشمل الهند والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والأردن وإسرائيل والاتحاد الأوروبي.

واضاف سوليفان «نعتقد أن المشروع في حد ذاته طموح ومن شأنه تغيير خارطة المنطقة، ولكن الرؤية وراء المشروع جريئة وتحويلية بنفس القدر، وسوف نرى استنساخه في أجزاء أخرى من العالم أيضًا».

وتابع سوليفان إن الشبكة تعكس رؤية بايدن لـ «الاستثمارات بعيدة المدى» التي تأتي من «القيادة الأمريكية الفعالة» والاستعداد لاحتضان الدول الأخرى كشركاء. وأشار الى أنه من شأن البنية التحتية المحسنة أن تعزز النمو الاقتصادي، وتساعد في جمع دول الشرق الأوسط معًا وترسيخ تلك المنطقة كمركز للنشاط الاقتصادي بدلاً من «مصدر للتحدي أو الصراع أو الأزمة» مثلما كانت في التاريخ الحديث».

إن بايدن محق. إن الخطة الخاصة بإنشاء ممر ضخم للسكك الحديدية والشحن يربط الهند بالشرق الأوسط وأوروبا تشكل صفقة كبيرة للغاية. ولدى واشنطن الكثير من الرهانات على هذه الصفقة، بما في ذلك ازدهارها وقوتها في المستقبل. ومن المؤسف أن إسرائيل لا تهتم بتفاهات مثل مستقبل أمريكا، وخاصة عندما تتعارض مع طموحاتها المتعصبة لغزو مساحة صغيرة من الأرض القاحلة في غزة. ففي نظر الاسرائيليين، هذا هو كل ما يهم.

ولنتذكر هنا أن واشنطن كانت تعمل على مشروع التكامل الاقتصادي الإسرائيلي منذ فترة طويلة للغاية. والواقع أن ما يسمى باتفاقيات إبراهيم ليست سوى جزء من هذه الاستراتيجية الأوسع نطاقا للتكامل الاقتصادي. وكانت الاتفاقيات تهدف إلى تطبيع العلاقات بين إسرائيل وجيرانها العرب حتى يتفق جميع المنافسين التقليديين على العمل بشكل تعاوني على نفس مشروع التكامل . ولكن بالطبع، أدى العدوان الإسرائيلي المستمر منذ عام على غزة إلى القضاء على أي أمل في عمل القادة العرب مع إسرائيل بغض النظر عن الضغوط من الولايات المتحدة. فقد أعلنت المملكة العربية السعودية ــ وهي عقدة رئيسية في مشروع التكامل الاقتصادي الإسرائيلي ــ أنها «انسحبت» وانها ستعلق جميع الجهود الرامية إلى إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل. وهذا مأخوذ من مقال في موقع Responsible Statecraft: جاء فيه : «في كلمة متلفزة ، قال ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان «إن المملكة لن تتوقف عن عملها الدؤوب نحو إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية، ونؤكد أن المملكة لن تقيم علاقات دبلوماسية مع إسرائيل دون ذلك».

وبهذا التصريح، بدا أن ولي العهد يبدد الآمال المتبقية لإدارة بايدن في التوصل إلى اتفاق تطبيع تاريخي بين إسرائيل والمملكة العربية السعودية، والذي كان من شأنه أيضًا أن يمنح الرياض اتفاقية دفاعية أمريكية بالإضافة إلى تعهد بالمساعدة في إنشاء برنامج نووي مدني.

ورغم أن إدارة بايدن كانت قد أشارت سابقًا إلى أنها قد تكون مستعدة للمضي قدمًا في اتفاقية الدفاع الأمريكية السعودية حتى في غياب التطبيع مع إسرائيل، فإنه يبدو أن إعلان محمد بن سلمان يقتل أخيرًا إمكانية ما يسمى «الصفقة الكبرى» التي كان مستشارو الرئيس بريت ماكجورك وجيك سوليفان ومسؤولون كبار آخرون في إدارة بايدن يأملون أن توفر وسيلة لمواجهة الصين وحل أزمة غزة وتجاوز اتفاقيات إبراهيم التي أبرمها ترامب في وقت واحد....

إن تصريح محمد بن سلمان حول دعم السعودية لإقامة دولة فلسطينية يوضح تأثير أحداث العام الماضي. لقد أثارت الحملة المدمرة التي شنتها إسرائيل على قطاع غزة - قطع المياه والكهرباء، وإسقاط ما معدله 42 قنبلة كل يوم، ومنع دخول الغذاء الكافي والإمدادات الصحية وغيرها من الضرورات الأساسية - إدانة عالمية، وهي الأقوى في الشرق الأوسط.

لا أحد يلوم إسرائيل على ردها على هجوم السابع من أكتوبر 2023. بل إن اللوم يقع على إسرائيل بسبب حمام الدم الذي استمر عاما وأودى بحياة عشرات الآلاف من المدنيين، وتسبب في تدمير 80% من المباني في غزة. وهذا ليس رداً مقبولاً على الإرهاب. إنه إبادة جماعية.

طبعا إذا أردنا أن نكون صادقين، فإن الإبادة الجماعية في غزة ليست سوى قمة جبل الجليد. وإذا أردنا حقاً أن ندرك حجم العبء الذي تمثّله إسرائيل، فما علينا إلا أن ننظر إلى موقع وزارة الخارجية الأمريكية على شبكة الإنترنت. وفي ما يلي ما سنجد:

«لقد تم بناء الشراكة التي دامت 75 عامًا (بين الولايات المتحدة وإسرائيل) على أسس المصالح المتبادلة والقيم الديمقراطية المشتركة منذ بدايتها، حيث توحد الإسرائيليون والأمريكيون عبر التزامهم بالديمقراطية وبالازدهار الاقتصادي والأمن الإقليمي.

المساعدة والتعاون الأمني:

إن الالتزام الأمريكي الراسخ بأمن إسرائيل مدعوم بالمساعدات الأمنية القوية لإسرائيل - بما في ذلك مذكرة التفاهم التي تبلغ قيمتها 38 مليار دولار والتي أبرمت في عام 2016. وتماشياً مع مذكرة التفاهم، تقدم الولايات المتحدة سنويا لاسرائيل 3.3 مليارات دولار كتمويل عسكري و500 مليون دولار إضافية لتمويل منظومتها للدفاع الصاروخي. ويدعم تمويل الدفاع الصاروخي العديد من برامج الدفاع الصاروخي التعاونية، بما في ذلك «مقلاع داود» و«القبة الحديدية»، بالإضافة إلى أرو وأرو 2 وأرو 3، التي أثبتت قدراتها أنها حيوية لأمن إسرائيل. وفي عام 2022، قدمت الولايات المتحدة مليار دولار كتمويل إضافي لتجديد مخزون إسرائيل من صواريخ القبة الحديدية.

السلام والتعاون الإقليمي:

«تلتزم الولايات المتحدة بالعمل على تعزيز شرق أوسط أكثر تكاملاً وازدهارًا وأمنًا يعود بالنفع على كل شعوبه. ونحن ملتزمون بتعميق وتوسيع التطبيع والتكامل بين إسرائيل والدول العربية ذات الأغلبية المسلمة - مثلما تجسد ذلك في اتفاقيات إبراهيم واتفاقيات التطبيع الأخرى... تعمل الولايات المتحدة على تعزيز التكامل الإقليمي والتعاون والتنمية لتعزيز السلام والأمن والازدهار الاقتصادي للمنطقة الأوسع، بما في ذلك المبادرات التي يمكن أن تعزز الاقتصاد الفلسطيني وتحسن نوعية حياة الفلسطينيين. تظل الولايات المتحدة ملتزمة بتعزيز حل شامل ومتفاوض عليه على أساس الدولتين للصراع الإسرائيلي الفلسطيني ....

وكجزء من جهودنا الرامية إلى تعزيز حل الدولتين والسلام الإقليمي، تعمل الولايات المتحدة على برمجة أول عامين من خطة تمويل مدتها خمس سنوات (حصة بقيمة 100 مليون دولار)... لتعزيز التفاعل بين الشعبين الإسرائيلي والفلسطيني.

إنه أمر صادم، أليس كذلك؟ 3 مليارات دولار هنا، و38 مليار دولار هناك. قريبًا، ستتحدث عن أموال حقيقية».

ولعلكم تلاحظون أن كل الأموال تتدفق في اتجاه واحد: من واشنطن إلى تل أبيب. وليس العكس أبداً. لماذا؟

لاحظ أيضًا كيف يتفاخر المؤلف باتفاقيات إبراهيم، وبمشاريع «التكامل الإقليمي» (IMEC)، وحتى بـ«حل الدولتين» المراوغ، وكلها ذات أهمية قصوى للولايات المتحدة ولكن كلها تعرضت للنسف عمدًا من قبل «صديقتنا الطيبة» إسرائيل.

لا أدري كيف يمكن لأي شخص موضوعي أن يراجع الحقائق ولا يصل إلى نفس النتيجة التي توصل إليها ميرشايمر، وهي أن إسرائيل تشكل عبئا استراتيجيا وعبئا ثقيلا.

لو كنا أذكياء، لأغلقنا سفارتنا في القدس واستدعينا سفيرنا على الفور. كفى.

الشارع الثقافي

العدد 426 - من الثلاثاء 8 إلى الاثنين 14 أكتوبر 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

الباحث في تاريخ الافكار عفيف البوني لـ«الشارع المغاربي» :

تغييب الثقافة العلمية والديمقراطية سَبَبُ تخلّفنا وهزائمنا

• المقاومة وحدها لا تضمن النصر والحرب لا تغْني عن الحل السياسي

ترجمة

«الدينيّ والسياسيّ» من خلال «اثنا عشر جوابا» لمارسال غوشيي

محادثة : أوليفيي بوبينو

ترجمة : عبد الوهاب البراهمي

مونوغرافيا

مدينة باجة: البيوغرافيا والتاريخ

د. زهير بن يوسف

الباحث في تاريخ الافكار عفيف البوني لـ«الشارع المغاربي» :

تغييب الثقافة العلمية والديمقراطية سَبَبُ تخلّفنا وهزائمنا

• المقاومة وحدها لا تضمن النصر والحرب لا تغْني عن الحل السياسي

حاورته : عواطف البلدي

عفيف البوني جامعي ومفكر. باحث في تاريخ الأفكار والمفاهيم المتصلة بحركة التقدم والتأخر في التاريخ الانساني. في رصيده عدة مؤلفات أشهرها «انسيكلوبيديا القرآن»، موسوعة في التفسير غير الفقهي لمصحف عثمان (كوثيقة تاريخية منذ 14 قرنا). بحث من خلالها عن «القفزة» التي أدت الى تطور دول ومجتمعات الغرب والشمال، داعيا في ذات السياق العرب والمسلمين على الاستئناس بها.

«الشارع الثقافي» التقى الباحث عفيف البوني للحديث معه حول الشأن الثقافي ولكن أيضا للحديث عمّا يحدث اليوم بلبنان وفلسطين.

وأنت المثقف والناشط المواكب للساحة الثقافية جيدا ما هي مكامن الهشاشة التي تعطّل نهضة ثقافية مرتقبة؟

النهضة بدأت في المنطقة منذ نهاية الثلث الأول من القرن 19 مع الطهطاوي، وانطلقت بتونس منذ 1846 عبر (عتق العبيد الخ) ولكن شدة الجهل والأمية واستبداد الحكام ورجعية وجهالة رجال الاديان، إضافة إلى هجمة الاستعمار والاحتلال لنهب الثروات ومنع التطور الا في الحدود التي تخدم الاستعمار، كل ذلك منع أكثر من أن نقول عطّل إمكانية النهضة، وأهم تعطيل هو منْع الديمقراطية في المجال السياسي ومنع الحرية في المجال الديني وخاصة منع العلم في مجالات التربية والتعليم والإبداع والصناعة الخ... وهكذا بقيت الثقافة الحديثة والعلمية متواضعة ومحاصرة، ما يفسر استمرار تخلف دولنا ومجتمعاتنا إلى اليوم قياسا لكل العالم.

بوضوح وبشكل مباشر لو كنت المسؤول الأول عن شؤون الثقافة في تونس ما هي الاجراءات العملية التي تبدو في نظركم ضرورية لإصلاح الشأن الثقافي في جميع مجالاته؟

سبق وإن عملت بعهديْ البكاري والهرماسي، مديرا لمجلة «الحياة الثقافية» والمركز الوطني للاتصال الثقافي ومكلف بمهمة، كان عملي هو الأتعس بحياتي واستقلت لوضاعة الوزيرين، حيث لم أتمكن من مقابلة الوزيرين طيلة سنتين من أجل ضرورة العمل نظاميا، وقد منعاني من أداء وظيفتي، وأحدهما قطع مرتبي مدة 7 أشهر تعسفا، فاستقلت، ويستحيل أن اقبل العمل بهذه الوزارة بالذات، إلا بشرط إفراغها من كل موظفيها البيروقراطيين، عبر نقلهم إلى عمل آخر وتعويضهم بجيل جديد من أهل الإبداع والفكر، وحينها ستصبح الوزارة قاطرة للثقافة الوطنية وللثقافة العلمية وللفكر الإنساني الديمقراطي أي الحامل للقيم الكونية.

عاصرت اتحاد الكتاب وكانت لك مداخلات وحضورا متميزا خاصة في عقد التسعينات ما هي الاسباب التي تجعل اتحاد الكتاب في حالة ضمور؟

نشطت سابقا في اتحاد الكتاب وتولّيت عضوية هيئته الادارية واكتشفت أنه مجرد منظمة تتقرب من السلطة من أجل السفرات للخارج أو لاقتناء وزارة الثقافة كتب بعض الأعضاء، وقد استقلت منه عام 1989 بسبب تخليه عن المواقف المبدئية وتبعيته للسلطة، وكل اتحادات الكتاب العرب هي متشابهة في هذا.

صدر لك معجم في الدراسات القرآنية «انسيكلوبيديا القرآن»، كيف تقيّم الدراسات القرآنية عند العرب عموما وفي تونس خاصة ونقصد هنا طبعا الدراسات التي تعتمد الفيلولوجيا او الأنثروبولوجيا او علم التاريخ؟

كل كتابات رجال الدين، هنا وهناك، لا تصلح الا أن تكون في المتحف، وغالبيتها هي أحد أسباب تخلفنا وهزائمنا لأنها ضد المعارف العلمية وضد الحقوق والحريات الإنسانية بمعايير عصرنا الآن، وهناك صنف آخر لباحثين معاصرين متفتحين وهم في الغالب، لم يتجاوزوا الا قليلا اجتهادات الفقهاء القدامى المستنيرين واجتروها مع صياغات جديدة، وبعضهم اكتفى بتأليف كتب بمئات الصفحات حول ثرثرات البخاري، واعتبروها أخبارا صحيحة وبنوا عليها ما لا يصح تصديق عقلا أو علما، اما انا شخصيا ففي موسوعتي عن القرآن قد نهجت نهجا مختلفا، اعتمدت في قراءتي له على المقارنة ودراسة اللغة واللغات الشرقية، ودرسته كوثيقة بغض الطرف عن قداستها، من زاوية ما تقوله علوم الطبيعة والعلوم الاجتماعية ومنها التاريخ والبيولوجيا..

لا يمكن ألّا نتطرّق معك الى الحرب في المشرق وأنت القومي العروبي سنسألك عن مآلات ما يحدث مشرقا أولا ومغربا ثانيا؟

أنا لا أصنف نفسي ومنذ عشرات السنين كقومي عربي مثلما كنت في صغري، انا باحث ومثقف وديمقراطي ومؤرخ افكار، لم أعد أؤمن بالإيديولوجيات، وإنما أؤمن بالعلم وبالواقع الموضوعي القائم. الحرب الان ومنذ عقود في منطقتنا هي بين قوة العلم والتطور وبين ضخامة الجهل والتخلف، وعدم التوازن هذا تنجر عنه إعادة رسم الخرائط وملء الفراغات الجيوسياسية كما حدث هذا بكل التاريخ وبكل الجغرافيا.

ما يجري ليس حربا بين اسرائيل وحماس أو حزب الله، وانما تنفيذ مخطط عدوان أمريكي إسرائيلي غربي استعماري من أجل الهيمنة والاحتلال، يستمر ابتلاع فلسطين، وتحويل غزة الى مقابر وأطلال وإلى بيئة غير قابلة للحياة، ويستمر العدوان على لبنان وسوريا، بعد تدمير العراق واليمن وليبيا.. ان تأخر العرب في مجال العلم والديمقراطية، جعلهم غرباء في هذا العصر وعاجزين عن حماية أوطانهم وثرواتهم، وها أننا نشهد ما تقوم به أمريكا وإسرائيل معا بدعم

حوار الأسبوع

غربي، إضافة إلى أطماع واحتلال قوى كبرى إقليمية هي تركيا وإيران...وهذه الأخيرة صنعت وكلاء في عدة مناطق للدفاع عن مصالحها من خارجها، وأقول إنه لا علاقة للتفكير الطائفي والظلامي، أي غير العلمي، بالثورات أو بالتطور أو بالديمقراطية التي هي مفاتيح الحياة المعاصرة، وأنا هنا لا أميز بين طائفية التفكير الديني الشيعي وظلامية التفكير السني وما انتجه من إرهاب وتدعيش..

كيف تقرأ صمت المثقف العربي بصفة عامة وصمت المثقف التونسي بصفة خاصة أمام ما يحصل هنا والان ؟

المثقف العربي هو إنسان وليس كل مثقف هو مناضل، ولا هو دائما في خندق التقدم. المثقفون أصناف مع التقدم، أو مع التخلف، والمثقف الأصيل هو الذي يفعل فعل الحرية والنهضة والعلم والتغيير، وهذا الصنف مهمش في كل بلدان جنوب المتوسط ومنها تونس.

أما شراسة العدوان الصهيوني والضمور المؤقت للمقاومة المسلحة يبدو ان هناك إحراجا للعقل السياسي العربي المعاصر لمقاربة كيفيات التعاطي مع القضية الفلسطينية مستقبلا؟

إسرائيل مشروع الصهاينة وقوى الرأسمالية الغربية خاصة امريكا وبريطانيا. وهو مشروع عدوان واحتلال وتوسع دائم عبر القوة والمال والعلم والإعلام.. للأسف موازين القوى لصالحه مهما تعاظمت ضربات المقاومة كما ان الشجاعة وحدها لا تضمن النصر، والمقاومة أو الحرب من اي طرف لا تغْني عن الحل السياسي أي التسوية وإن تكن غير منصفة، لأن موازين القوة هي التي تفرض وترغم على ذلك حتى لا تكون المقاومة كأنها انتحار، خاصة وإن الفلسطينيين منقسمون، ولا يجب أن يعول لا على العرب ولا على إيران، خاصة بعد الابادة بغزة، الرأي العام العالمي مهم في هذا، لا حل عسكري، يمكن أن ينجح، ولا استقرار أو سلام، يمكن أن يحصل إلا عبر التسوية وفرض تطبيق قرارات الأمم المتحدة وهي غير عادلة.

اما العقل السياسي العربي؟ شخصيا أرى ان كل الدول العربية عاجزة عسكريا وسياسيا لافتقارها للمعرفة العلمية ولانعدام الديمقراطية ولضحالة ثقافة العيش المشترك، وعدم استيعاب مواكبة العالم الراهن... وحين يتوحد الفلسطينيون ويستعملون السياسة مع المقاومة، وحين يتقدم العرب علميا وديمقراطيا، سيكون هناك جديد.

هل فشل تباعا الخطاب القومي بجناحيه البعثي والناصري والخطاب اليساري بفرقه المتعددة وخطابات الاسلام السياسي بشقّيه السني والشيعي في الخروج بنا من مآزق الاستبداد والاستعمار مع الفشل في تحقيق نهضة حلُمت بها أجيال منذ قرنين؟

بعد بعض النجاحات لفترة زمن التحرر الوطني قبل ستين سنة، حدث أن فشل خطاب الناصرية والبعث واليسار والإسلام السياسي سنة وشيعة، مع الفارق بين صنف الحالمين طوباويا بالتحرر والتقدم عبر طوباوية الإيديولوجية، وبين دعاة الرجوع لعصر الخرافات والايمان بالغيبيات...وذلك أمر حتمي وقد حصل، والسبب هو أن كل تلك التيارات كانت مجرد إيديولوجيات لم تتحول إلى فكر سياسي معاصر ديمقراطي ويستخدم المعارف العلمية، ويواكب تطور العالم المعاصر. أخيرا لن يتقدم العرب، ولن تتقدم تونس في غياب العلم والديمقراطية أي بنفس ما تقدم به المتقدمون..

> **اشترط إفراغ وزارة الثقافة من كل موظفيها البيروقراطيين وتعويضهم بجيل جديد من أهل الفكر والإبداع**
>
> **اتحاد الكتاب مجرد منظمة تتقرب من السلطة من أجل السفر للخارج أو لاقتناء وزارة الثقافة كتب الأعضاء**
>
> **المثقف الأصيل صنف مهمش في كل بلدان جنوب المتوسط ومنها تونس**
>
> **لا حل عسكري يمكن أن ينجح ولا استقرار أو سلام يمكن أن يحصل إلا عبر التسوية**
>
> **كل كتابات رجال الدين هنا وهناك لا تصلح الا أن تكون في المتحف**
>
> **لن يتقدم العرب ولن تتقدم تونس في غياب العلم والديمقراطية**

صورة تتحدّث

سوسة أيام زمان

بائع الخروب ايام زمان و هي من المهن التي كانت منتشرة في جل الاماكن في سوسة المدينة كباب القبلي و باب الجبلي كان البائع يضع الخروب في آنية نحاسية مزركشة و منقوشة طويلة الشكل أو فخارية يلبس لباسا تقليديا جميلا و يضع الكؤوس النحاسية أو البلورية على خسره و كان ينادي (خروووب خروووب عز المشروووب الخروووب حلي سنونك يادع برد برد يا عطشان) و يحافض الخروب على البرودة في هذا الاناء و يشرب باردا كان يباع باسعار بخسة ان ذاك للاسف قد اندثرت هذه المهنة هذه الايام بسوسة و هي مهنة اصلها من المشرق كسوريا و مصر و فلسطين و العراق

تونس زينة البلدان

أصداء الكسر في مرايا الصمت

قراءة في رواية «الكسر» للكاتبة أ. سعاد الفقي بوصرصار

مجدي شلبي (*)

هنا في رواية «الكسر» تنكشف لنا عوالم غائرة بين السطور، حيث يتردد صدى الألم والتمرد في نفس الأنثى التي كسرت قيودها في صمتٍ مدوٍّ؛ فبين جنبات هذه الرواية، تتحرك البطلة كظلٍ يبحث عن النور وسط متاهات النفس والمجتمع، تسعى للحرية وهي مثقلة بجراح الماضي، وتتشكل مرايا الصمت كصور متقابلة لحياتها، تعكس (كسرها) الداخلي وخوفها من المواجهة، وفي كل مرآة يتردد الصدى، ليرسم أبعاد معركة خفية بين القهر والتحرر، وفي هذه القراءة نغوص في رمزية الكسر والصمت، في محاولة لفك شفرة الروح، التي تنطق بالوجع.

الشخصيات الرئيسية والثانوية

سندس: البطلة المحورية للرواية، وهي تتميز بالخوف العميق والانطواء نتيجة للتحرش الذي تعرضت له في طفولتها من زوج عمتها، وهي تحمل في داخلها جرحًا نفسيًا كبيرًا جعلها تنفر من الرجال، «كل الذكور أصبحوا نسخة كاريكاتورية من زوج العمة القبيح» (ص 26)؛ فتحبس نفسها في عوالمها الخاصة، مما يؤثر على علاقتها بعائلتها وبخاصة أمها، وتصف الكاتبة مشاعر سندس المضطربة وتأثرها بما حدث لها؛ بقولها: «فقد أثرت الحادثة على سلوكها... أصبحت تميل للوحدة والانعزال» (ص 18)

الفوزي: يمثل الضد بالنسبة لحاتم، ويجسد التناقض بين القوة المادية والافتقار للمشاعر: «انقض عليها كالوحش. صفعها وأمسكها من شعرها وسحبها على الأرض وهو يصرخ...» (ص 69)

حاتم: زميل سندس في الجامعة الذي يشعر بعاطفة نحوها، وهو شخص رقيق وعاطفي، يحاول دعم سندس والتقرب منها بحذر واحترام: «سعى حاتم بلطفه إلى تهدئتي والتهوين عليّ» (ص 204).

الأم: تسعى لطمأنة نفسها بزواج سندس، معتقدة أن الزواج هو الحل لإعادة الأمن للعائلة، ولكنها لا تدرك الجرح العميق الذي تحملته ابنتها، مما يدفعها للصدام المستمر معها: «وما زاد من هواجسها هو رفض سندس جميع من تقدم لخطبتها... فعادت ـــ الأم ـــ الى محاصرة البنت: ـــ لماذا ترفضين الزواج؟ إلا إذا كنت خائفة من افتضاح أمرك». (ص 31).

الصور البلاغية والرموز

شخصية سندس تمثل رمزًا للتحرر من القيود الاجتماعية والتقاليد الصارمة، التي تعيق تطور المرأة وتحقيق ذاتها، وتحمل الرغبة في الهروب من العنف

أ. سعاد الفقي بوصرصار

العائلي والتحرش الذي عانته من زوج عمتها، مما جعلها تنفر من الحياة الزوجية التقليدية التي ترمز إلى القيود التي يفرضها المجتمع على المرأة.

فضلا عن الصورة البلاغية المتمثلة في : «احتضنت في أعماقها بذور الخوف والكره والإرباك» (ص 18)، وفي (الظلام) الذي وظفته الكاتبة كصورة مستمرة في الرواية لتمثيل حالة الخوف والضياع التي تعيشها البطلة، وكيف تعكس الظلمة الخوف الذي يلاحقها من الماضي والرعب من المستقبل: «الليلُ مطبق أنفاسه على القرية. والظلمة شديدة. وهي تطوي الطريق لاهثة لا تلوي على شيء». (ص 5)، وقولها: «عليّ أجد مكانا يأويني من الليل ويحميني من العائلة والجيران ومن نظرات الاحتقار والمهانة في عيونهم» (ص 88).

الرسالة التي تريد الكاتبة إيصالها للقارئ

هذه الرواية تمثل دعوة للتحرر من الظلم الاجتماعي والعائلي، مع التركيز على أهمية الوقوف ضد التحرش والعنف، سواء كان ذلك من قبل الأقارب أو من قبل المجتمع ككل، كما تدعو إلى فهم أعمق لدور الأسرة في حماية الأبناء ودعمهم، بدلاً من التستر على المشكلات التي تترك أثرًا نفسيًا عميقًا عليهم، وقد جاء على لسان البطلة: «أعلنت عن رغبتي في تكوين جمعية تكون صوت كل من يتعرض إلى الاعتداء أو التحرش وخاصة من قبل المحارم. عندما يصبح حاميها حراميها» (ص 193).

قراءة في صورة الغلاف وعلاقتها بالمتن

صورة غلاف رواية «الكسر» تعبر بعمق عن مضمون الرواية وما تحمله من رمزية ذات صلة بتجربة الكسر النفسي والاجتماعي الذي تتعرض له البطلة، ويظهر في الصورة فتاة صغيرة خلف نافذة مشروخة، وهي تمد يديها على الزجاج، وكأنها تحاول التواصل مع العالم الخارجي أو الهروب منه، مما يعكس حالة العزلة والاغتراب الداخلي الذي تعانيه الشخصية الرئيسية، والشروخ التي تملأ الزجاج ترمز إلى الكسر الداخلي الذي لا يمكن إصلاحه بسهولة، ويترك أثراً عميقاً، تماماً كما يترك الألم والجرح النفسي أثراً في الروح.

الطفلة في الصورة تُمثل البراءة المفقودة أو الحلم المحطم، حيث تواجه العالم بنظرة تجمع بين الخوف والتساؤل، مما يعكس صدى الأحداث التي تتعرض لها البطلة في الرواية، ويبرز الغلاف قوة الصمت وصدى الكسر الذي يتردد في خلفية حياتها، معبرا عن الجوهر الرمزي العميق للرواية، ومقدماً صورة بليغة لأثر الكسر الذي يحدث في الداخل، والذي ينعكس على كل ما يحيط بالشخصية، ليبقى معها كصدى دائم في مرايا الصمت.

كلمة أخيرة

في خاتمة قراءتي هذه، التي عنونتها بـ«أصداء الكسر في مرايا الصمت»، نصل إلى عمق التجربة الإنسانية التي تتجسد في صراع بطلة الرواية بين الصمت والكسر، بين الاستسلام والمقاومة، فلقد كشفت لنا صفحات الرواية عن رحلة نفسية مؤلمة تتوارى خلف أقنعة الصمت، حيث تتحول كل لحظة إلى مرآة تعكس جراحًا دفينة وأحلامًا مكسورة، ومع ذلك فإن هذا (الكسر)، على الرغم من قسوته؛ يمثل بداية التحول والتجاوز، فالأنثى في هذه الرواية ليست ضحية قدرها، بل هي صوت خافت يتردد في فضاءات الصمت، متمسكًا بحق الوجود والتحرر، ومن ثم تبقى هذه الرواية شهادة حيّة على أن الصمت قد يكون في ظاهره هزيمة، ولكنه في جوهره صرخة تمرد كامنة تنتظر اللحظة المناسبة لتشق طريقها نحو النور والتحرر.

تحية للكاتبة أ/ سعاد الفقي بوصرصار على هذا العمل الأدبي الجريء، الذي يأخذنا إلى أعماق النفس البشرية بجرأة وإحساس مرهف تستحق عليه الكاتبة المبدعة كل التقدير والاحترام.

(*) عضو النقابة العامة لاتحاد كتاب مصر

اشتغال العتبات في رواية «سبعة أيام.. ماكينات حرب» للصحفي والكاتب برهان اليحياوي

أ.عبد الدائم عمري

رواية الأيام السّبعة أو سبعة أيام للصحفي والكاتب برهان اليحياوي محكومة بالارتحال ، إذ تبدأ الرواية والسارد في غرفته بأحد أحياء مدينة القصرين ، يحزم حقائبه للرحيل هروبا من المدينة ومن البلاد لأن الحياة فيها أصبحت قاتله ، أو بحثا عن آفاق جديدة لا تتسع لها المدينة أو تضيق عنها، وتنتهي والصحفي يستعد للعودة إلى الوطن وقد ألغى كل التزاماته وتخلى عن عقد عمل مجز في أمريكا، لأن الرسالة التي وصلته غيرت كل شيء. بنية في ظاهرها تبشر بمشروع جديد ولكن يكتشف القارئ فجأة وقد أنهى القراءة أن مشروع الصحفي الجديد هو الرواية ذاتها، فتنشأ رغبة جامحة في إعادة القراءة والارتحال، بنية منغلقة في ظاهرها ، اذ تبدأ بالرحيل وتنتهي بالعودة، ولكنها لا ترسم دائرة وإنما ترسم شكلا لولبيا ، وبين البداية والنهاية، يمتد الزمن الميقاتي للرواية سبعة أيام. ومنه تستمد الرواية عنوانها.

لقد حظي "اشتغال العتبات"(1)والموازيات النصية بعناية هامة من طرف النقاد والمنظرين لقراءة النص رواية كان أو شعرا، لأنه "لا شيء محايد في الرّواية "(2) حسب عبارة هنري متران، وقد تحولت العتبات من موجهات أو مفاتيح مساعدة على القراءة إلى خطاب قائم بذاته وهذا واضح في عبارة ميشال فوكو:"فخلف العنوان والأسطر الأولى والكلمات الأخيرة وخلف بنيته الداخلية وشكله الذي يضفي عليه شيئا من الاستقلالية والتميز ثمة منظومة من الإحالات إلى كتب ونصوص وجمل أخرى"(3).

كذلك العنوان في رواية برهان اليحياوي " سبعة أيام ...ماكينات حرب "، وترنيمة الإهداء :

إلى كل من يطارد الرغيف.
إلى كل المنسيين في هذه الأرض.
إلى كل من لم يقدر على اقتناء هذه المخطوطة.
إلى النور فالنور عذب جميل.(4)

ولا يخفى على أحد دلالة العنوان " سبعة أيام " ، رقم مكثف بالإحالات؛ الدينية والثقافية والاجتماعية...، محاط بهالة من القدسية، وله مفعول سحري عجيب، فالقصص النشكونية (5) ، تجمع على أن الكون تشكل في سبعة أيام ، وان الشمس أشرقت في اليوم السابع بعد الطوفان. وفي القران "إن الله قد خلق الكون في ستة أيام ثم استوى على العرش في اليوم السابع". وقد قال المسعودي في كتابه مروج الذهب "إن كل شيء في العالم يمكن فهمه عن طريق الرقم سبعة فالأقاليم سبعة والكواكب سبعة" وأيام الأسبوع ستة وسابعها لا عمل فيه، وان اختلف اليوم السابع باختلاف العقيدة، فهو الجمعة عند العرب والمسلمين والسبت عند اليهود ، والاحد عند النصارى. ولا غرابة في الآمر فالأيام السّبعة في رواية برهان اليحياوي، غيرت أقدارا كثيرة؛ إذ يتراجع الصحفي أيمن الفرشيشي عن قراره بالهروب من البلاد والاستقرار بأمريكا ويقرر العودة الى الوطن رغم الإغراءات ، وناجية تسافر إلى العاصمة من اجل العلاج ، فتتناسى مرضها إلى حين وتتحول إلى إيقونة تنشر الوعي بالفوارق الاقتصادية والاجتماعية بين السكان، وتقود نضال سكان الأقبية ضد ملاك العمارات، والشخصية الرئيسية "غازي"، يسافر هو أيضا إلى تونس في أمر لا يكشفه السارد رغم انه سارد

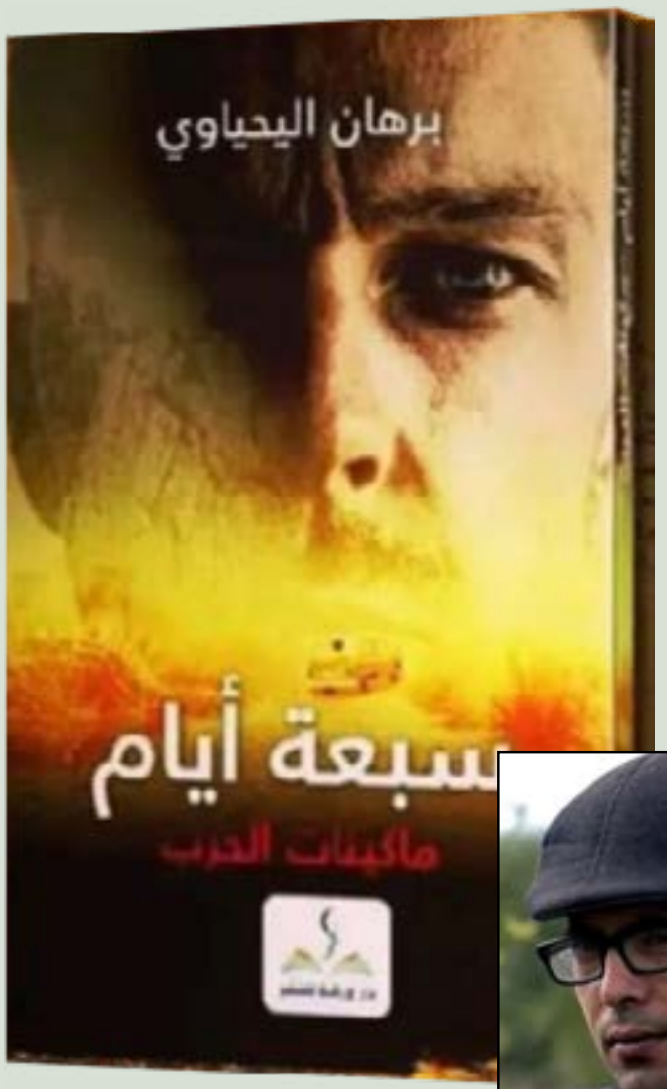

برهان اليحياوي

عليم ودائم الحضور، ولكنه يموت في نهاية الرواية وقد تحول إلى بطل يقاوم الإرهاب من الداخل ويحبط كمينا نظمته الجماعة الإرهابية ضد الجنود.

أما حركة السرد في الرواية فتبدأ بما يشبه المفكرة عدا تنازليا يؤرخ له الكاتب بالساعة والدقيقة ينطلق في الساعة الرابعة من مساء اليوم السابق وينتهي قبل شروق شمس اليوم التالي أو" لحظة الصفر "كما يسميها السّارد ليؤول السرد بعد ذلك إلى يوميات، ولكنها يوميات مخصوصة تبدأ باليوم الأول فالثاني ، فاليوم الثالث..، وتنتهي بنهاية اليوم السّابع.فتصنع زمنا داخليا مكثفا.ت تنطلق الرحلة في سيارة اللواج في حدود الساعة 18:18مساء ولكنها سرعان ما تتوقف بسبب عطب في السيارة، في مكان ما بين العاصمة ومدينة القصرين ، مكان مجهول يقع بين المركز والهامش، زادته ظلمة الليل وكثافة الغابة المحيطة بالطريق وحشة وغرابة، ولئن توقفت الرحلة في المكان ، فقد انطلقت رحلة أخرى في الزمان استرجاعا واستباقا، كانت مناسبة لمعرفة ماضي الشخصيات ومشاريعهم المستقبلية، صورة طريفة لمجموعة من الشخصيات يجمعهم المكان والزمان والمأزق ولكنهم مختلفون : ليلى فتاة جميلة تسافر إلى تونس من اجل العمل وأشياء أخرى، تتحول إلى موضوع للمطاردة بالنسبة لغازي ، و"الفتاة العشرينية" طالبة تسافر إلى تونس من أجل إجراء امتحان مهم جدا، وحمادي الشيخ الجزائري الذي يرتحل معه السارد ليصور مشاهد من النضال ضد المستعمر الفرنسي واختلاط الدماء التونسية والجزائرية، من اجل هدف واحد يقول حمادي في خاتمة حديثه :"تعرفت في تلك الفترة على تونسيين كثر اقتسموا معنا الحرب والنصر، وتقاسمنا الرغيف والشهادة". (6) ثم "ناجية" المرأة الستينية ذات الوشم البربري، التي تتحول أثناء توقف الرحلة إلى بؤرة للسرد ومركز للإحداث، لأنها تتحلى برباطة الجأش وتحسن التدبير وتتدبر للجماعة مكانا للاحتماء به وطعاما للعشاء، والمرأة " الأجنبية " و السائق ، وغازي؛ وهو شخصية نامية في علاقة جدلية بالأحداث، صانعة للأحداث أو هي صنيعتها تشكلها وتتبلور صورتها بتناميها، ثم الصحفي أيمن الفرشيشي، القادح للرواية لأنها تبدأ باستعداده للسفر وتنتهي بعودته، وكيفما قلبت الأمر تطبيقا للعبة العنصر الدخيل وجدت شخصيات الرواية سبعة وثامنهم المرأة الأجنبية لأنها تتابع في صمت ولا احد يشرح لها، أو سبعة مسافرين وثامنهم السائق، لأنه امتداد لوسيلة السّفر.

وبمثل هذا العدد المحدود من الشخصيات، والأماكن سيارة اللواج، ومكان توقف الرحلة في الجبل، ووحدة الزمن، من الرابعة مساء إلى صباح اليوم الموالي ، ووحدة الموضوع والمأزق، وغلبة الحوار الذي يسترجع ماضي الشخصيات، يجد القارئ نفسه أمام مسرحية الفصل الوحيد (7)، مما ينزل الرواية في تيار التجريب الذي، يرفض الخطوط الحمراء ، ويتجلى التجريب حين يلتجئ الكاتب إلى توظيف التقنيات السنمائية أو ما يسمى " سنما اللقطة ". إذ"يظهر في الرواية من خلال تزامن أحداث التجربة الشخصية وجزئياتها في وعي البطل إذ يكون الحاضر مناسبة لاستحضار الماضي المشابه فتتداخل مشاعر الماضي بالحاضر"(8)، كما تقول الدكتورة جهاد عطا في دراستها حول تأثير الفنون المرئية في الرواية الحديثة، فتتزامن في وعي الشيخ الجزائري المشاعر المرتبطة بالمأزق في الحاضر بمشاعر مشابهة لمآزق كثيرة عاشها في جبال الجزائر وتونس إبان الثورة الجزائرية، عندما كان الجبل رمزا للنضال والجهاد ضد المستعمر، وهكذا يضعنا السارد أمام مشهدين في إطار أو " كادر" واحد ، مشهدين من زمنين مختلفين، ويشتد التوتر في رمزية الجبل عندما يستدعي القارئ مشاهد حقيقية من الجبل وقد سكنه الإرهاب.

كما تصبح المرأة الأجنبية سببا للتزامن المشهدي أو"سنما اللقطة" في وعي السائق تجعله يستعيد تجربته مع المرأة الألمانية التي تزوجها من اجل تحسين ظروفه المادية فجعلت منه ثورا للحراثة وعندما بدأت جذوته تخبو لأسباب لا مجال لذكرها، افتعلت قضية عنف وأرسلته إلى وطنه فارغ الوفاض فظل يخشاها ويخشى كل الأجنبيات فقد طلب من ناجية عندما توفرت سيارة لنقل بعض المسافرين، إرسال المرأة الأجنبية أولا لأنهم كما يقول: "مواطنون بحقوق كاملة حيثما يكونون وليسوا مجرد أرقام تلتفت إليهم الحكومة عندما تقترب الانتخابات" (9).

وعندما يصل الجميع إلى العاصمة، يحتفظ السارد بثلاث شخصيات فقط ، ناجية وغازي والصحفي ، ويقوم السرد بعد ذلك على التناوب بين الحكايات الثلاث في توظيف طريف للتقنيات السنمائية مرة أخرى، أو ما يسمى "بالتوليف أو المونتاج"، إذ يوظف الكاتب" التوليف المتوازي ":وهو توليف يمكن المخرج من الانتقال من مشهد إلى آخر دون مقدمات" (10)، كذلك يفعل السارد في رواية الأيام السبعة، إذ يوظف التوليف المتوازي بين ثلاث حكايات: فينتقل بسلاسة من حكاية ناجية وهي

تخوض الصراع من اجل الدفاع عن حق سكان القبو في الحياة الكريمة و تصوير التفاوت الكبير بين حياة سكان العمارة وسكان الأقبية ودهشة ناجية من استكانتهم خوفا أو"قعودا". ومنعهم من استعمال مصعد العمارة، له دلالة رمزية كبيره، وهي انسداد الآفاق أمام الفئات المفقرة في الارتقاء في السلم الاجتماعي. فما دلالة الثورة التي تخوضها ناجية ؟ وجميع المؤشرات في الرواية تبين أن أحداثها تقع بعد ثورة الرابع عشر من جانفي 2011 ، وما دلالة هذه الثورة بعد ثورة ؟ ، إنها ثورة مستدامة ضد الفوارق الطبقية والتهميش ، لان رأس المال يعيد إنتاج نفسه رغم تغير النظام ، ورغم رسوخ الاسم ناجية في الحضارة العربية إلا أن الوشم يجعل من ناجية معادلا موضوعيا لكثير من النساء عليسة أو الكاهنة البربرية ... والقائمة تطول تأكيدا للدور الطلائعي الذي ظلت تحظى به المرأة التونسية.

أما حكاية الصحفي فتكفيه جلسة وداع طريفة مع صديقته، رغم تأجج المشاعر بين العاشقين إلا أن القناعة بضرورة الرحيل كانت أقوى بكثير. صورة طريفة لاحتفال الفراق بين العاشقين تختلف عما عهدناه من صخب يصحب الفراق، انه شكل جديد من العشق، وجيل جديد من العشاق ثم يتابع الصحفي الرحلة والوصول إلى أمريكا منتهيا بقراءة الرسالة صباحا.

وينفرد غازي بالنصيب الأوفر من السرد ممتزجا بالحكايتين السالفتين، ويصبح للاسم كعلامة دلالة مزدوجة ، تخرج من مجرد التسمية والتعيين الاعتباطي ، إلى معنى اشمل وهو الغزو والهجوم وبالفعل نكتشف شيئا فشيئا انخراط غازي في عصابة افتراضية (VIRTUELLE) عن طريق لعبة " الفري فاير " تخطط لغزو أحد البنوك في العاصمة، ويسعى لتوفير المال من أجل إجراء عملية جراحية لأمه المريضة ،" فالصحة ليست للجميع" كما يدعون وإنما هي حكر على من يملك المال، وتنقلب الأمور رأسا على عقب عندما يتحول اللص الغازي إلى صيد ثمين ويقع في قبضة تنظيم إرهابي، أوهمه عن طريق اللعبة ، أن السطو على البنك سيتم بأسلحة بلاستيكية، وإنهم سيستغلون عامل المفاجأة، ولكنه اكتشف وقائد الجماعة يسلمه الكلاشنكوف أنها أسلحة حقيقية، ولم يشعر غازي بالتحول من العالم الافتراضي الناعم إلى العالم الحقيقي وحجم المأزق الذي وقع فيه إلا عندما وصلت المجموعة إلى سفح الجبل وتخلصوا من السيارة رباعية الدفع، ورأى صوره بوجه مكشوف تنتشر على مواقع التواصل الاجتماعي باعتباره أحد المشاركين في عملية السطو على البنك، سوف يكتشف بعد ذلك أن نشر صوره وكشف حقيقتة لم يتم صدفة وإنما هي عملية مقصودة من قيادة التنظيم، تدخل في ما يمكن تسميته "إحراق السفن"،(11) حتى لا يفكر في العودة إلى المدينة، ثم تتوالى الاكتشافات تباعا بعد ذلك عندما يرتحل بنا السارد إلى الجبل ليكشف ممارسات التنظيمات الإرهابية وطرق عيشها.

أولى الاكتشافات أن غازي قد وقع ضحية تنظيم إرهابي، وأنه لن يستطيع العودة إلى المدينة لأنه مطلوب للعدالة في جريمة مزدوجة، السطو المسلح، والانضمام إلى تنظيم إرهابي، ولكنه اكتشف أيضا أن الجماعة لا يقتلون على الهوية فقط وإنما يقتلون لأتفه الأسباب، فقد يقتل المرء في شرعهم لمجرد السؤال، أو التفكير في تدخين سيجارة واحدة، فقد اقترح الباي وهو الرجل الثاني في التنظيم قتل غازي في مناسبتين على الأقل، المناسبة الأولى عندما طرح سؤالا على أمير الجماعة. وأما المناسبة الثانية فعندما فكر في تدخين سيجارة، ولكن أمير التنظيم رفض ذلك لأنه يفكر في الاستفادة من حماسه الظاهر واندفاعه الكبير، وكالعادة فشخصية غازي كانت دوما شخصية غريبة الأطوار لها دوما ما تخفي وعندما ينكشف وجه من وجوهها سرعان ما تكشف عن وجه آخر، تماما مثل شخصية أبي الفتح الاسكندري في مقامات الهمذاني.فقد أظهر في البداية شخصية رجل أعمال وهو يتودد إلى ليلى وعندما انكشف أمره لم يخجل ولم ينكمش على ذاته، وإنما عمد من باب إعادة تشكيل صورة تستحق بعض الاحترام إلى كشف حقيقته للصحفي أيمن الفرشيشي، واخبره انه لص لا يسرق من أموال الفقراء وإنما شكل مجموعة للسطو على أموال الأغنياء إذ يقول عنه السارد :" وكان لا يتردد في سرقة منازل الأثرياء في كل أنحاء البلاد "(12) فهو لا يعتبر الأمر سرقة وإنما هو من باب استرجاع حق مسلوب، يسرق منهم وينفق على ملذاته وللفقراء فيما يأخذه نصيب، وقد كان ذلك سببا لدخوله السجن، في مناسبات عديدة. ولكي يزيح آخر ملامح السخرية من وجه الصحفي قال له بكل حماس"لا تستغرب كثيرا قد أكون يوما ما موضوعا لعمل صحفي يستحق العناء"(13) صورة اقرب ما تكون إلى صعاليك العرب متمردون على القبيلة السرقة عندهم وسيلة لإعادة توزيع الثروة وإغاثة الفقراء والمحرومين تقول عنهم الدكتورة آمال الصاعدي :"فنجد في شعرهم فلسفة خاصة للحياة التي يريدونها، فهم يريدون أن يتحقق العدل، الذي حرم منه الكثير من الأفراد، هذا الذي جعلهم متمردين خارجين عن نظام القبيلة "(14). يحملون أفكارا اشتراكية قبل وقتها، ومن هذا المنظور يلتقي غازي مع شخصية ناجية في رغبة كل واحد منهما في مقاومة التفاوت الطبقي والتهميش والسعي إلى إعادة توزيع الثروة.

وفي الجبل يكشف السارد عبر شخصية غازي ممارسات الجماعات الإرهابية، مركزا على طرق الاستقطاب، والشحن والعاطفي الانفعالي ، والبرمجة اللغوية العصبية (PNL)، في محاولة للإجابة عن سؤال ملحاح: لم ينخرط بعض الشباب ومن فئات وبيئات مختلفة في مثل هذه الجماعات؟ ويكون الجواب واضحا من خلال نموذجين على الأقل ؛ غازي وقد تم استقطابه عن طريق لعبة الفري فاير و هي واحدة من الألعاب التي تدفع الشباب والأطفال إلى التطبيع مع الجريمة والعنف، فتستغلها التنظيمات الإرهابية لاستقطاب الشباب وهنا ينبه الروائي إلى مخاطر الألعاب الافتراضية ومواقع التواصل الاجتماعي باعتبارها وسائل استقطاب ناعمة. وبمجرد وقوع الصيد في الفخ يلجؤون إلى" إحراق السفن " حتى يسدون عليه أبواب الهروب والعودة إلى المدينة، وأما النموذج الثاني فهو فريد الذي اختلط بالجماعة أياما في المسجد واقترب منهم حبا في الاطلاع وأشياء أخرى وعندما فكر في الابتعاد عنهم، كشفوا أمره وقدموه في وسائل الاتصال الاجتماعي على انه واحد منهم فلم يجد غير الجبل مهربا لأنه أصبح مطلوبا للعدالة إذ تعلقت به جريمة الالتحاق بتنظيم إرهابي.

وهكذا من خلال هذين النموذجين استطاع الروائي أن يكشف عن جانب من آليات الاستقطاب عند الجماعات الإرهابية، وبعض خصائص الفئات المستهدفة وهي فئات تشترك في التهميش والفقر والعزلة والانحراف، وأما وسائل الاتصال الحديثة فتبقى الوسيلة الأكثر خطورة لأنها قادرة على الوصول إلى شرائح واسعة من الشباب أمام أعين الجميع.

إن تحليلا سريعا للأبعاد الاجتماعية والثقافية للرواية يكشف مدى انخراطها في تيار أدب الراهن، ومعالجة القضايا الحارقة فموضوع الإرهاب والتقابل بين الجبل والمدينة طرقه العديد من الروائيين الشبان نذكر منهم على سبيل المثال: د.علي العمري في مجموعته القصصية "ذئب منفرد"، ومحمد المعمري في روايته "اعترافات رجل ميت"، وكذلك كمال الشارني وروايته "كاليتيم ... على أخر بيت مضاء ". وكلها روايات تشترك في رصد آليات الاستقطاب والارتحال مع الشخصية إلى الجبل لكشف وحشية هذه الجماعات وأزمة الشخصية وتمزقها بين الجبل والمدينة حيث الأم والحبيبة، صراع بين القتل على الهوية وبين الحب، ولعل القاسم المشترك بين اغلب الروائيين هو الانتماء إلى عالم الصحافة والصحافة الاستقصائية خاصة، وحرصهم جميعا على توظيف القلم في مقاومة الإرهاب، إيمانا بأهمية النضال الفكري والثقافي من اجل التصدي للإرهاب والجريمة والعنف.

إن الانسياق خلف الأهداف الاجتماعية والثقافية للرواية لا ينسينا شخصية غازي وهو يفاجئنا بوجوه جديد في كل مرة ، فقد ظل يفكر في وضعه وسرعان ما تأقلم مع الوضع الجديد ولكنه كان يخطط للانتقام لنفسه، وعندما قرر أمير الجماعة تشريك غازي ، وفريد في كمين ضد الجنود لمزيد توريطهما ، وضمان ولائهما، كان حماس غازي صورة أخرى لهذه الشخصية المتقلبة، فهو لئن قبل أن يسرق فله مبرراته ومنها إغاثة الفقراء وتوفير المال لمداواة والدته ولكنه لا يقبل أن يقتل وان يخون وطنه لذلك وبعد أن ضمن ولاء فريد _ لأنه من المغرر بهم مثله _ قرر إفشال العملية وتصفية الجماعة المشاركة فيها وفعلا نفذ ذلك بكل حرفية فأطلق الرصاص على القناصة وكشف موقعهم للجنود ونجح في قتلهم جميعا وعاد مع صديقة إلى المغارة حيث أمير الجماعة واضطر إلى إحداث جرح غائر في ذراعه كاد يكون سببا في هلاكه، ليوهم أمير الجماعة انه نجا رفقة فريد بأعجوبة وعندما تحقق له ذلك تسلل إليه ليلا فقتله هو الأخر واستولى على المال الذي احتطب من البنك وقرر الهرب إلى الجزائر مع فريد ولكن انفجر لغم تحت قدميه، أقعده عن مواصلة السير واستشعر قرب النهاية فطلب من فريد إرسال الخرائط التي تكشف مواقع الجماعات الإرهابية وخططهم ومخابئهم إلى الصحفي أيمن الفرشيشي ، عبر تطبيقة الماسنجر وطلب منه بعد ذلك أن يواصل رحلة الهروب إلى الجزائر وان يرسل المال ، للمرأة التي أنقذها من اعتداء وشيك، وأنقذته من وحشة الجبل لكي تسلم أمه ما يكفيها لانجاز العملية، وتعيد الباقي للحكومة أو تفرقه على الفقراء. وانهي حياته بنفسه، وفعلا يستيقظ أيمن الفرشيشي في احد النزل الفاخرة في أمريكا وعندما يقرأ بريده ويكتشف الرسالة يقرر العودة ، ويصبح غازي "موضوعا لتحقيق صحفي يستحق العناية ".

فما دلالة موت البطل ، ليس فقط في رواية الكاتب والصحفي برهان اليحياوي بل في روايتي المعمري والشارني؟ إنها نهاية طبيعية لكل بطل مأساوي تراجيدي، ولكنها تحمل أيضا رسالة ضمنية مفادها أن الصعود إلى الجبل ليس "رواية شرقية في نهايتها يتزوج الأبطال" كما يقول نزار قباني بتصرف(15)، وإنما هي رحلة بتذكرة سفر دون عودة (IRREVERSIBLE)، وهكذا يتحول البطل إلى حيلة فنية يوظفها الكاتب لدخول الجبل، وتفكيك ظاهرة الإرهاب وكشف بشاعة التنظيمات الإرهابية.

.....

1_اشتغال العتبات في رواية من أنت أيها الملك، د.هشام محمد عبدالله، مجلة ديالى، ص1،العدد47, سنة2010 .

2_عتبات الكتابة في الرواية العربية، د. عبدالملك أشبهون، دارالحوا رسوريا، ص20، ط:2007

3_نفس المصدر ص 24.

4_ سبعة أيام ، برهان اليحياوي ، ص4 .

5_ النشكونية : الأساطير المتعلقة بنشأة الكون.

6_سبعة أيام، برهان اليحياوي ص 45

7_ مسرحية الفصل الوحيد ، هي شكل مسرحي يقوم على فصل وكيد وعدد محدود من السخصيات ووحدة الزمن والكان، كان لملء الفراغ بين فصول المسرحيات ثم تطور ليكتسب هوية خاصة.

8_ الرواية العربية والممكنات السردية, أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان القرين الثقافي، 2004 _ الكويت 2008 ،د.جهاد عطا ، ج1 ص 213 .

9_سبعة أيام، برهان اليحياوي، ص 86.

10_الرواية العربية والممكنات السردية, أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان القرين الثقافي،2004 . الكويت2008 ،د.جهاد عطا، ج1ص215. .

11_إحراق السفن : مصطلح يستمد جذوره مما أقدم عليه طارق ابن زياد عندما اجتاز البحر إلى سواحل اسبانيا ، فقد احرق السفن حتى لا يفكر الجنود في الهروب وقال قولته الشهيرة " العدو أمامكم والبحر من ورائكم فأين المفر".

12_سبعة أيام، برهان اليحياوي، ص32.

13_سبعة أيام،برهانااليحياوي، 42.

14_الصاعدي، أحلام عبد العالي غالي، شعر الصعاليك في حماسة أبي تمام من منظورةشراحها،رسالة مقدمة لنيل الماجستار، كجامعة آم القرى2011.

15_ نزار قباني: الحب ليس رواية شرقية بنهايتها يتزوج الأبطال .

ترجمة

«الدينيّ والسياسيّ» من خلال «اثنا عشر جوابا» لمارسال غوشيي

محادثة : أوليفيي بوبينو

ترجمة : عبد الوهاب البراهمي
متفقد عام للتربية سابقا (فلسفة)

«أقابل الدين بالدولة الحديثة ، لا بالدولة بوجه عام»(م.غ)

« تقابلون بوضوح بين الدولة والدين. فالأولى هي إرادة التملّك وتنظيم مصير الجماعة في التاريخ، والثانية هي اختيار التجرّد من التملّك لصالح أصل سيسمح ببناء هَوَوِي للبشر وفق استمرارية تقليدية لنَظام اجتماعي.» (أ. بوبينو)

«كان للبشرية الاختيار بين دين وسياسة. وكان الدين هو الإجابة عن الوضع السياسي الذي شكّله بتحييده، بطريقة تامة نوعا ما. إنّ خروج الدين يعني من جهة أخرى، الإلزام ، بطريقة حيوية أكثر فأكثر ، بقبول الوضع السياسي».

«ابدؤوا بقبول وجود السياسيّ(الترتيب الشامل للمجتمع)، الذي تميل مجتمعاتنا إلى رفضه. فهي لا تريد رؤية غير السياسة(الإخراج السياسي)، التي تفهم بوصفها امتدادا لدائرة الخاص للأفراد والتعبير عن المجتمع المدني التي يشكلّ المجموع. بالإضافة إلى وقوعها باستمرار(أي المجتمعات) تحت فعالية عودة المكبوت. إنها إحدى الأسباب العميقة للضائقة الراهنة للديمقراطيات.»(م .غ)

« إنّ مجتمعات التقليد، وباقتناعها بالعيش باستمرار مع الماضي، لا تهتمّ بمعرفة هذا الماضي لذاته، بما أنها تعتقد أنها تعيشه داخليا. ويوعيها بالجدّة المتولّدة عن الفعل البشري- الوعي التاريخي « بالمعنى الحديث - وبالتالي الشعور بالابتعاد عن الماضي، تنمو الحاجة إلى معرفته بالتحديد وفهمه جوهريا ، بما أن الماضي قد صنعنا بالرغم من كلّ شيء.»(م. غ)

أوليفيي بوبينو

– مارسال غوشييه ، أريد أن أعود معك إلى بعض الأسئلة المثارة في هذا العرض*2. أولا ، هذا السؤال : هل أن تاريخ البشرية «، بوصفه محركا فعليا للتاريخ» ، تاريخ « علاقة خطرة» بين طرفي الزوج دين وسياسة؟

– مارسال غوشييه

– « علاقات خطرة» ليست العبارة المناسبة. فقد تكون عبارة « فكّ الارتباط» مقبولة أيضا. أقول بالأحرى ، بأخذ مسافة قصوى ، بأنه كان للبشرية الاختيار بين دين وسياسة. وكان الدين هو الإجابة عن الوضع السياسي الذي شكّله بتحييده، بطريقة تامة نوعا ما. إنّ خروج الدين يعني من جهة أخرى، الإلزام بقبول ، بطريقة حيوية أكثر فأكثر ، الوضع السياسي. هذا ما نتناقش فيه ، لم يكن النجاح حقّا

مارسال غوشييه* 1946...

في الموعد ، في الوقت الراهن. و الأسوأ، بالرغم من ذلك، ستكون بقربنا ، ولكن من حسن الحظّ خلفنا، « الأديان العلمانية» ، أي محاولة إعادة صنع تنظيم دينيّ مع السياسيّ.

– أ. بوبيتو

تعرّفون الدين الأوليّ، ماهية الدين بالذات، بوصفه قطيعة مع الماضي اللامرئيّ، غير القابل للتشكيك ، الماوراء الحقيقيّ ، السابق والأسمى من البشرية . فيم ، حينئذ، لا تزال أديان التوحيد أديانا؟

– مارسال غوشييه

تتطابق أديان التوحيد من غير شكّ، مع انحلال التبعية الأولية. إنها تدمج فيها المشكوك فيه؛ وتسمح بضرب من الاعتبار المستقلّ للخلق الذي يبرز به الخالق الأوحد. لكنها لا تقود إلى تبعية الأساس وفق نمط آخر، إلى حدّ أنها يمكن حتى أن تزيده تعقيدا. هو أثر منظوري لم يُلهم في شيء بتحليلات ممتازة. إنها ، على هذا المستوى، تستحقّ فعلا وبجدارة اسم ديانات.

– أ. بوبيتو

لقد حكم عليك منذ بعض السنوات ، بكونك « محافظا» قليلا (انظر في هذا الباب كتاب دانيال ليدنبورغ ، إيقاظ: بحث حول المحافظين الجدد»، 2002)... وبمعزل عن هذا الجدال هل يعود هذا بالخصوص إلى المنزلة الهامة التي تعطيها للدين الأوليّ في تاريخ البشرية؟

– مارسال غوشييه

تعطي أهمية كبيرة لا يستحقّها لقول نقدي مثير . أخشى أن أكون ضمن قائمة « المحافظين الجدد» لأسباب تعود إلى مكائد جامعية رخيصة ومنشورات أكثر منها إلى قراءة عميقة لكتبي. فاسألوا أصحاب الدعوى!

– أ. بوبيتو

تعرّفون المقدّس بوصفه الجزء العينيّ والمرئيّ للامرئيّ الأصل. أيّ فرق تقيمه بين الرمزيّ والمقدّس؟

– مارسال غوشييه

المقدّس هو أحد الكلمات الرهيبة التي يبدو أن مصيرها هو تمركز لكلّ الالتباسات. استخدم الكلمة بقدر، على أساس تعريف دقيق، يبدو لي في الآن أنه نفسه يفسح المجال لما تحمله هذه العبارة ممّا لا يستغنى عنه للإشارة إلى مجال مخصوص للتجربة الدينيّة، والاحتماء من التعميمات غير المناسبة. يوجد المقدّس حينما توجد شهادة ملموسة للماوراء عن هذا العالم السفلي، تجسيد اللامرئي في المرئيّ – في حيّز ، وجسد وشيء ... ويتعلّق الباقي بامتدادات مجازية غير مراقبة. إنّ المقدّس منظورا إليه بهذا المعنى هو حالة خاصّة للرمزيّ داخل هذا المجال الآخر الخاص الذي هو الدين غير أنّ الرمزيّ هو رداء العالم الإنساني الاجتماعي. الدين نسق رمزي ، ليكن، لكن الرياضيات أيضا وقانون الطرقات ليس أقل من ذلك. وبعبارة أخرى لا يساوي المقدّس الدين بقدر ما لا يساوي الدين الرمزيّ.

– أ. بوبيتو

تقابلون بوضوح بين الدولة والدين. فالأولى هي إرادة التملّك وتنظيم مصير الجماعة في التاريخ، والثانية هي اختيار التجرّد من التملّك لصالح أصل سيسمح ببناء هَوَوِي IDENTITAIRE للبشر وفق استمرارية تقليدية لنظام اجتماعي. لكن أليست الدولة في جانب منها معرّفة بهذا التجرّد من الحيازة الهَوَوي، فعل التسليم إلى قوّة تقودنا وتنبني وفق قواعد موجّهة لنظام اجتماعي، أليست فنّا نفسيا، أداة للتحكّم في البنية النفسية للبشر؟

– مارسال غوشييه

أعارض أو أقابل الدولة الحديثة بالدين، لا بالدولة بوجه عام، بقدر ما يكون لفظ «التعارض» حسنا- وأقول في الواقع بأنّ الدولة الحديثة هي أحد محاور استئناف البَنْيَنَةِ STRUCTURATION المستقلّة للهيكلة دينية . إنّ الدولة الحديثة هي التي تسمّي ذاتها « دولة»، منذ حوالي 1600. وسيكون من المناسب بكلّ دقّة أن تحتفظ بالمقولة. لكننا ملزمين بإسقاطها في الماضي، للإشارة إلى أجهزة الهيمنة المؤسّسة التي تنبثق في مواضع مختلفة حوالي 3000 قبل المسيح. يجب ببساطة أن نكون على وعي بالمشكل. هذه « الدول» غامضة:هي تمثّل ثورة دينية، بما أنّ لامرئي الأساس يتجسّد معها، بين البشر،

وهو ما يتضمّن نتائج حاسمة في النهاية، وهي أي الدول في ذات الوقت آليات المحافظة الدينيّة. تشتغل الدولة الحديثة على خلاف ذلك، بوصفها أداة إعادة توطين عقول أو أساس الجماعة الإنسانية في صلبها. لكن ذلك، بالفعل، يتوسّط فصلا يعطي كلّ معناه لسؤالك. توجد مجازفة للتجرّد من الحيازة في اشتغال مستقلّ، مثلما هو في اتجاه آخر، تشتغل التبعية الدينية بشكل مؤكّد بوصفها أداة لضرب من الحيازة لذاتها بالنسبة إلى الجماعات البشرية وبضرب من الحيازة لذواتها بالنسبة للفاعلين فيها- تحفظ هذه الوظيفة الأخيرة كامل حيويتها، والحقّ معك ، في المجتمعات التي تحررت من الدين، أي مجتمعاتنا. وحال البشرية أن تفسّر ذاتها بغيرية وخارجية هي مكوّنة لها. لا ينتهي هذا بعد التشكيل الديني لهذه الغيرية على صعيد جماعي- ويظلّ هذا كي نبدأ في السؤال على صعيد فردي. إنّ الاشتغال المستقلّ مشكلة، وليس دخول فاخرا للبشرية إلى السيادة على ذاتها، بعد اغتراب غير مفهوم. وبخلاف ما يقوّله لي بعض النقد، ممن لم يقرؤوا لي ، فانا لست ممّن يتغنى بسعادة بالاستقلالية، ولا ساخرا على شاكلة تقليدية بالتبعية. فاللوحة التي أقترحها هنا هي أكثر دقّة. إنّ للإنسانية خيار ، في الجملة ، بين التملك بالتجرّد منه (التبعية) وبمجازفة التجرد من التملك (الاستقلالية).

- أ. بوبيتو

لقد زعم البعض بأنك تبدو ، في ممارسة الفكر البشري، مرتدّا عن أطروحات ميشيل فوكو عن الجنون في كتابه تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، والذي ينقد مؤسسات السلطة. كما لو كنت فيلسوفا مبرّرا لمشروعية المؤسسات...

- مارسال غوشييه

أنا مندهش من ضمنية هذا السؤال ، الذي هو، في الأصل، كون كل مؤسسة هي موضوع نقد في مبدئها بالذات. تبدو هذه الفوضوية المنهجيّة فكريا اختزالية قليلا. بماذا يتعلق الأمر في هذه الحال؟ بطبيعة المؤسسة العلاجية النفسية. يمكن أن نتقاسم مع آخرين ، نقد فوكو للبؤس في المصحات العقلية ، دون تقاسم تشخيصه لأصل هذا البؤس. هل علينا أن نستنتج ، بناء على ما أنتجته المصحات العقلية المنشأة في القرن 19 ، في مؤسسة مريعة وقمعية، أنها أنشأت في البداية بغرض اختزال الجنون في صمت بتشبيهه بـ«مرض عقلي» مزعوم، على أساس إقصاء أصلي للجنون بواسطة العقل الحديث الناشئ؟ هذا هو التأويل الذي نستنتجه. غلادي سوان غير موجود للحديث عن ذلك لكن أستمرّ في اعتباره خاطئا جذريا. نقترح قراءة أخرى لتاريخ الجنون، من ولادة الطب النفسي وتحوّل المؤسسة العلاجية. لقد ساءت الأمور لأسباب جد مختلفة عما زعمه فوكو، وقد تولّدت نتائج عملية هامّة لهذا الانحراف النظري. نعم، يجب إصلاح المؤسسات العلاجية النفسية بعمق؛ لا، لا يجب تفكيكها. لقد أدت فوكوية FOUCALDISME أسيء هضمها إلى تصفية للطب العقلي باسم « فك الحصار» و«تحرير» الجنون. والنتيجة : تخلّ جماعي مخجل، غير مشرّف للمجانين الموجودين في الشارع وفي السجن.أليس هذا شكلا مغايرا أكثر عنفا للإقصاء؟ ترون يجب الانتباه حينما ندغ بـ«نقد المؤسسات» . النقد ، أرغب في ذلك فعلا، لكن باسم ماذا ومن اجل ماذا؟

- أ. بوبيتو

أيّ فرق تقيمه بين الدين والدينيّ، سوى كونه اختلافا في الوظيفة ، فالدين له وظيفة اجتماعية وسياسية قبل دخول البشرية في التاريخ، والدينيّ له وظيفة هوويّة على الصعيد الفردي والجماعي في الديمقراطيات المعاصرة؟

- مارسال غوشييه

كلام جيّد جدا: يبدو لي فعلا أنه من المحبّذ الاحتفاظ بعبارة الدين للحظة - المطوّلة، بما أنه يغطّي الأساسيّ من التاريخ الإنساني - حيث يمارس وظيفة مبنينة في المجتمعات . لكن لا يمنع خروج الدين، بهذا المعنى، الدينيّ من الاستمرار في البقاء ضمن الضمائر الفردية (في المجتمعات طبعا بموجب التقاسم لهذه المعتقدات الشخصية، لكن على نط آخر غير النمط القديم المؤسس). يوجد الدينيّ بعد الدين لكن لا يحتلّ نفس المكانة ولا يؤدّي نفس الدور. أعتقد انه من المفيد التمييز بينهما. وأضيف فقط بأنّني لا اختزل الدينيّ في وظيفة هوَوَيّة، على أي حال على الصعيد الفردي.

- أ. بوبيتو

بالنظر إلى « الخصوصية المسيحية « التي تسلط عليه الضوء، خاصة في نزع الافتتان بالعالم ، ألا تكون ، بالنسبة

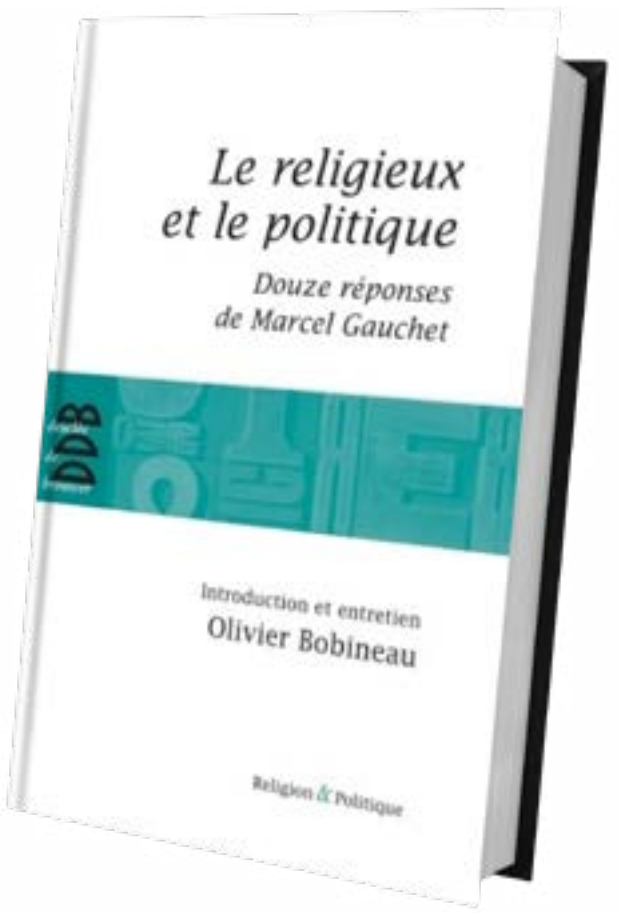

إلى المسيحيّة ، شاتوبريان القرن 21، بالتأكيد على العبقرية الخاصة لهذا الدين في تاريخ البشر؟

- مارسال غوشييه

المقارنة مشرفة بالنسبة إليّ ، لكن لا تبدو لي حقا مناسبة. لم يحصل لدقيقة أن كانت لي فكرة مقارنتي بالساحر من نوع « الفاتن». وفي المقابل ، أودّ أن أكون دقيقا قليلا في الأساس أكثر من صاحب عبقرية المسيحية، التي ، وهو ما يجب قوله، مع الأسف لا يحلق حجاجها بعيدا. لست مدّاحا، هدفي ليس الدفاع وتوضيح المسيحية ، وليس فهم التاريخ الذي نحن ورثته، وأودّ أن أقول ، في هذا السياق ، أنّني اقتربت فحسب من الحقيقة.

- أ. بوبيتو

ما هي نقاط الاختلاف والالتقاء بين الدين والشمولية، التي تعرّفها بوصفها نظاما أعلى وتابع، يهدف إلى تشميل كل المجتمع من « الخارج»؟

- مارسال غوشييه

يقودنا السؤال إلى السؤال عن « الأديان العلمانية» فيما سبق. الأنظمة الشمولية أو بالأحرى الإيديولوجيات الشمولية، هي دينيّة زائفة. فهي مهووسة بصورة لا واعية ، بالشكل الذي تعطيه الهيكلة الدينيّة للجماعات الدينيّة. إنها تبحث عن إعادة إنشاءه ، لكن من داخل دائرة المحايثة، بإقصاء كلّ مرجعية متعالية ، على قاعدة فلسفة للتاريخ، وبواسطة أدوات مستمدّة من الهيكلة المستقلّة (الدولة والحزب والتنظيم). ومن هنا في نفس الوقت القرابة والتعارض الأساسيّ مع عالم الدين. كلاهما حقيقيّ في ذات الوقت.

- أ. بوبيتو

ماذا يتوجّب عينا حتى نوفق بين السياسة (الإخراج السياسي) والسياسيّ (الترتيب الشامل للمجتمع) في ديمقراطياتنا؟

- مارسال غوشييه

ابدؤوا بقبول وجود السياسيّ، الذي تميل مجتمعاتنا إلى رفضه. فهي لا تريد رؤية غير السياسة، التي تفهم بوصفها امتدادا لدائرة الخاص للأفراد والتعبير عن المجتمع المدني التي يشكلّ المجموع. بالإضافة إلى وقوعها باستمرار(أي المجتمعات) تحت فعالية عودة المكبوت. إنها إحدى الأسباب العميقة للضائقة الراهنة للديمقراطيات . وليس قابلا للشفاء إلا قليلا ذاك الوعي بما في واقع السياسيّ ممّا يتعذّر تجاوزه.

- أ. بوبيتو

كيف تفسرون المفارقة التالية: بقدر ما نبتعد عن الماضي ، زمن الديانات ، بقدر ما يفتننا الماضي؛ وبقدر ما يموت هذا الماضي ، بقدر ما يأخذ أهمية لدينا؟

مارسال غوشييه

إنّ مجتمعات التقليد، وباقتناعها بالعيش باستمرار مع الماضي، لا تهتمّ بمعرفة هذا الماضي لذاته، بما أنها تعتقد أنها تعيشه داخليا. ويوعيها بالجدّة المتولّدة عن الفعل البشري- الوعي التاريخي « بالمعنى الحديث - وبالتالي الشعور بالابتعاد عن الماضي، تنمو الحاجة إلى معرفته بالتحديد وفهمه جوهريا ، بما أن الماضي قد صنعنا بالرغم من كلّ شيء. نحن في لحظة حاسمة لهذه الظاهرة، التي ليس لها من وجه مفارقي سوى الظاهر، باعتبار أهمية القطيعة مع الماضي التي هي بصدد التحقّق ، و جدّة العالم الذي نلج فيه. ينتج عن هذا بالفعل شيئا ما مثل افتتان بماض نحسّ أنه يهرب منّا بشكل لاراد له، وافتتان يختزل في ردّ فعل تتريب PATRIMONIALISATION معمّم . لكن ليس هذا سوى لحظة أولى، في منظور واجب يخلقه لنا هذا الابتعاد الجذريّ . إنّ التتريب PATRIMONIALISATION غير كاف. إنه مضلّل حتى حينما يتمثّل في الحفاظ على بقايا ماض ميت نزوره بشعورنا التام بأننا خارجه. لابد فضلا عن هذا من فهم هذا الماضي الذي نحن بعيدين عنه كثيرا والذي مع ذلك يحتوي على جانب من إنسانيتنا. وبشكل فعلي أكثر ، نحن أمام واجب، وقد خرجنا من الدين ، وقضي الأمر ، التساؤل فيم ولماذا كانت البشرية دينيّة؟ فنحن لا يمكننا الفهم دون فهم هذا الاستثمار الهام لأجدادنا في أمر بات غريبا عنا بشكل عفوي (وما أقوله هنا ينسحب أيضا على المؤمنين اليوم ، الذي ليس لإيمانهم دخل ، في هذا المستوى ، في إيمان أجدادهم). إنّ فكرتنا نحن بالذات هي معلّقة بذكاء ما لسنا عليه. لا توجد مفارقة في هذا : يوجد منطق وضعنا التاريخي- شيء آخر يتمثل في معرفة إذا ما كنا في مستواه.

- أ. بوبيتو

بعد اختيار عصر الدين طيلة آلاف السنين، عصر « سلب التملّك»، وبعد الرغبة في التملك منذ نشأة الدولة والانخراط منذ ذلك الحين في مسار استقلالية أدت إلى الديمقراطية الحديثة، عرفت البشرية منذ سنوات 1970،التجرّد من تملك «جديد. في نظرك ، إنّ « نهاية حكم مشترك» بموجب غياب « أفق مشترك» بحكم « هيمنة التفرد» L'INDIVIDUALISATION وبموجب تراجع كل منا « إلى زاويته ولحسابه ، يفضي اليوم إلى « هذا السلب للتملّك أو الحيازة الذي لا يتأتي أولا من خارج، بل يخرج من داخل خاصيتنا التي هي نحن». يقودك هذا إلى طرح هذا السؤال المخيف عن هذا السلب الجديد والراهن دوما :» أليس الاسم الحقيقي لهذا هو تجريد العالم من الإنساني؟» (غوشييه 2007). ما هي حينئذ التمظهرات الرئيسية لهذا التجريد للعالم من الإنساني» وآثار ذلك ، في المستقبل؟

مارسال غوشييه

نجد المشكل المطروح في السؤال الخامس في شكل نمط أكثر نظرية وأكثر عمومية. وبالنظر إلى الطابع البنيوي للاستقلالية، التي نكتسبها أولا بوصفها تنظيما للفضاء الاجتماعي الإنساني، خطوة إلى الأمام لهذه الأسس، في شكل الحقّ DROIT ،والسياسي والتاريخ ، يمكن فعلا أن تُترجم في فقدان التحكّم في نمط هذه الاستقلالية لدى الفاعلين . نحن إزاء هذا. نحن نملك ربما بتزايد ذلك وسائل الاستقلالية ، ونحن موضوعيا بتزايد الصانعين لعالمنا ونحن أقلّ سيادة على العالم نصنعه. إنه من « الإنساني» أكثر بالمعنى الذي تكون فيه ثمرة أعمالنا ، لكن « تجريدا للإنساني» في هذا ، كونه تصرفه يفلت منّا ، وانّه، لا فسحب لا نعثر على أنفسنا فيه ، بل لأنها نجد فيه هويتنا قد شوشّت. تتسع حرية كل منّا ، لكن يكبر عجزنا بنفس القدر. لم تكن قدرتنا كفاعلين تاريخيين في الحاضر بذات القدر من القوّة، لكن بين الماضي الذي يهرب والمستقبل الذي أصبح غير مفكّر فيه، نحن لا نعرف قطّ ، في خضم حماس تحوّلنا ، من نحن ومن أين أتينا وإلى أين نذهب. ومرة أخرى تكون الاستقلالية ، لا حلاّ أو مخرجا ، شيئا ما مثل مصالحة عامّة ، بل مشكلا ، مشكلا ينمو في حدّة مع تعزيز لمبدئه . إنّ السؤال الكبير هو في معرفة إذا ما كنا في مستوى الوسائل التي بواسطتها يمرّ التحكّم الواعي ويتطلبه. وفي نهاية الأمر لا شيء يطمئننا. ماذا لو كنّا بشكل مؤكّد دون مستوى المهمّة التي تمثّلها قدرتنا على حكم أنفسنا؟».

هوامش:

*-1- مارسال غوشيه: MARCEL GAUCHET عالم اجتماع ومؤرخ فرنسي معاصر مدير مدرسة الدراسات العليا في علم الاجتماع.

-2 إشارة إلى ما ورد في كتاب « الديني والسياسي» من عرض لأفكار مارسال غوشيه ، قام به أوليفيه بوبينو.

مدينة باجة: البيوغرافيا والتاريخ

د. زهير بن يوسف (جامعة تونس)

تصدير:
المدينة انعكاس على الأرض للمجتمع بأكمله، بثقافته ومؤسساته، وأخلاقه، وأسسه الاقتصادية وروابطه الاجتماعية.
هنري لوفافر

القصبة: قلعتان في قلعة

إذا كان الجغرافيون العرب في العصر الوسيط يتحدثون عن خمس (5) باجات في العالم فإن الموسوعة الكونية Encycopédie Universelle تشير إلى إحدى عشرة(11) مدينة تحمل التسمية ذاتها نهتم منها بباجة إفريقيّة أي مركز ولاية باجة بشمال غربي البلاد التونسية، وقد عرفت أيضا في المصادر بباجة القيروان، وباجة القمح تمييزا لها عن باجة الزّيت، وهي بلدة كانت موجودة بالساحل التونسي ينتسب إليها الشاعر ابن أبي مغنوج، وباجة القديمة وهي بلدة كانت موجودة قرب منوبة وإليها ينتسب،فيما يذهب إليه حسن حسني عبد الوهاب، المتصوف الشهير أبو سعيد الباجي دفين جبل المنار، وباجة الأندلس أو باجة الغرب، مسقط رأس الملك الشاعر المعتمد بن عبّاد ملك إشبيلية (بالبرتغال حاليا).

في التسمية ومداليلها

التسمية تعريب صوتي للفظة لاتينية هي فاقا (Vaga) إسم المدينة الرّوماني، ولا يعدو أن يكون سوى تحريف لاسمها النوميدي، وهو باقا (Baga)، علما أنّ النوميديين، فيما يقول محمد حسين فنطر، كانوا ينطقون الجيم قافا وأنّ الحرف (V) لم يكن موجودا في اللهجات اللوبية القديمة وبالنتيجة تكون باقا(Baga)، صيغة أقدم من فاقا(Vaga) بل لعلها الأصلية.

وإذا كان الحسن الوزان(ت1550) يذهب إلى أنّ « باجة مدينة بناها الرومان على أنقاض مدينة أخرى قديمة، ولذلك سموها فيتشيا (Vecchia) أي العتيقة وبفعل الزمن تغير حرف(V) إلى (B) وحرف(C) إلى (J)» فإن المؤرخ صالوسط(ت 34 ق.م) Salluste رسمها بصيغة فاكّا Vacca كما كل من بطليموس(ت283 ق.م) Ptolémée وسترابون(ت 23 م) Strabon يكتبانها بصيغة واقا Ouaga في حين رسمها بلوطارك(ت 125م)) Plutarque وبروكوب(ت565م) Procope بصيغة باقا Baga وهو ما يتطابق مع النطق النوميدي لاسم المدينة ويقترب إلى حد كبير من نطقه بالعربية .

ومهما يكمن من أمر فإنّ مداليل التسمية تتنزل معجميا وسياقيا في حقل دلالي موحّد يحيل رأسا على الخصوبة والرخاء واطراد الخير مع الجودة النوعية والعطاء الوافر، هذه المعاني التي تتفق تماما مع ما تثيره بعض تفسيرات كلمة فاقا اللاتينية وتعني البقرة الحلوب أو تموجات سنابل القمح عند هبوب النسيم من أبعاد ومعان، ألم يقل الوزير السرّاج(ت 1735):

« وهي مناخ الأقوات في كل الأوقات، وهي بلدة كثيرة البُرِّ(القمح) والعسل والبقر إذا كثر خيرها عمّ الرخاء إفريقية (= تونس) إذ هي عمدتها في هذا الأمر».

العهد البوني والقاعدة الحصينة

مدينة باجة واحدة من أعرق التجمعات الحضرية بالبلاد التونسية وهي لوبية الأصل نوميدية تشهد بذلك فضلا عن النصوص القديمة والنقائش المدافنُ النوميدية التي اكتشفها الكابيتان فانسون Capitaine Vincent عام 1881 بجبل بوعنبة الواقع كيلوميترا واحدا شمال شرقي المدينة، وفصّل القول فيها ديرافور F.V.Duraffourg في تقريره Béja et ses environs durant l'occupation Française en 1881

وقد تبوأت باجة خصوصيتها كمدينة منذ العهد البوني/ القرطاجني إذ تمتعت بمجلس بلدي منتخب يترأسه حاكمان/ شِفطان، ولمكانتها الإستراتيجية أسسوا بها قلعة وبنوا أسوارها الأولى وركزوا بها حامية نظامية. ولعنايتهم المتميزة بها كانت المدينة وفيّة للقرطاجنيين في حروبهم الثلاث ضد الرومان، وأبرز ما تجسم ذلك عام 218 ق.م حينما لم يقتصر سكان باجة على مساندة الجيش القرطاجني بقيادة حنبعل في زحفه على روما بالزاد والعتاد بل تعدوا ذلك إلى الإمدادات البشرية. ولم يتمكن ماسينيسا حليف الرومان من الاستيلاء عليها عام 150 ق.م إلا بعد حصار طويل وقتال مستميت من أهاليها وحاميتها وبعد أن صدته عنها تحصيناتها الدفاعية العتيدة كما صدت قبله ريقوليوس Régulius.

باجة عاصمة ليوغرطة

بقيت المدينة تابعة للحكم النوميدي حتى عام 46 ق.م لمّا تمّ ضمها إلى الولاية الرومانية أفريكا نوفا Africa Nova بعد أن كان الملك البربري يوغرطة المعروف بنزعته الاستقلالية النادرة ورفضه لمشاريع الإلحاق السياسي قد اتخذها عاصمة لمملكته العظمى المعادية لروما حتى

القصبة: القلعة البيزنطية والبرج العثماني

الجامع الكبير: نقيشة تخليدية

سبيل يوسف صاحب الطابع، باب العين، 1800

البرج البيزنطي أو قلعة المنسي: منظر من الداخل

استيلاء القائد الروماني موتلوس Metellusعليها عام 109 ق.م وتخريبها وتشريد سكانها وإبادة حاميتها، وقد كانت فيها جالية من التجار الإيطاليين يعملون في سوق الحبوب ويبدو أنهم كانوا يسيطرون عليها ولم يكتفوا بالإقامة وتعاطي التجارة بل كانوا يتدخلون في شؤون المدينة وتعاطفوا مع أعداء يوغرطة.

الرومان ومدينة الرخاء العظمى Magna Opulens Vaga

لما أصبحت المدينة تحت النفوذ الروماني المباشر ترومنت وارتقت حتى أصبحت بلدية بتمام معنى كلمة كولونيا Coloniaفي اللغة اللاتينية في عهد الإمبراطور الإفريقي الأصل سبتيموس سافاروس Septime Sévère عام 197م، ومنه تمتع السكان الأصليين فيها بحقوق المواطنة الرومانية وامتياز بعض أعيانها بعضوية مجلس الشيوخ الذي كان يعقد جلساته بروما والانتماء إلى جمعية الإمبراطور أوريليوسأنطونيوس، واتخذت لقب سبتيميا Septimiaنسبة إلى الإمبراطور الذي حباها بعطفه وتنويها به، تثبت ذلك النقيشة التخليدية المضمنة اليوم بالجدار الشمالي الغربي للجامع الكبير.

وقد ازدهر في الحقبة الرومانية عمران « مدينة الرخاء العظمى»Civitas Magna Opulens كما لقبها صالوسط Salluste وتطورت مؤسساتها العسكرية والمدنية وفي طليعتها القلعة والأسوار فضلا عن الجسر التاريخي الذي ما يزال يحمل إسم طراجان Pont Trajanالإمبراطور الذي شرع في بنائه عام 105م قبل أن يدشنه الامبراطور أدريان Adrienعام 129م.

تيودورياس Théodorias في العهد البيزنطي

احتل الوندال بقيادة ملكهم جنسريق Genséricالمدينة عام 448م ودمروها تدميرا، ولن تنهض باجة من دمارها إلا بعد قرن كامل من الزمان مع مجيء الرّوم البيزنطيين وتحديدا عام 533م في عهد الامبراطور جوستينيان Justinienالذي اعتنى بها وأقام قائده الكونت باولوس Comte Paulus قلعتها وهي القلعة التي ورثتها القصبة العربية التركية الحالية.

كما جددوا أسوار المدينة ودعموا تحصيناتها الدفاعية بـثلاثة وعشرين (23) برجا مربّعا الأمر الذي جعلها تستعيد سالف ما كانت عليه من ازدهار وعمار، واعترافا من سكان باجة للإمبراطور بالجميل أطلقوا على مدينتهم تسمية تيودورياس Theodoriasتكريما للامبراطور في شخص زوجته.

جامع الباي: المئذنة، معمار أندلسي مغربي

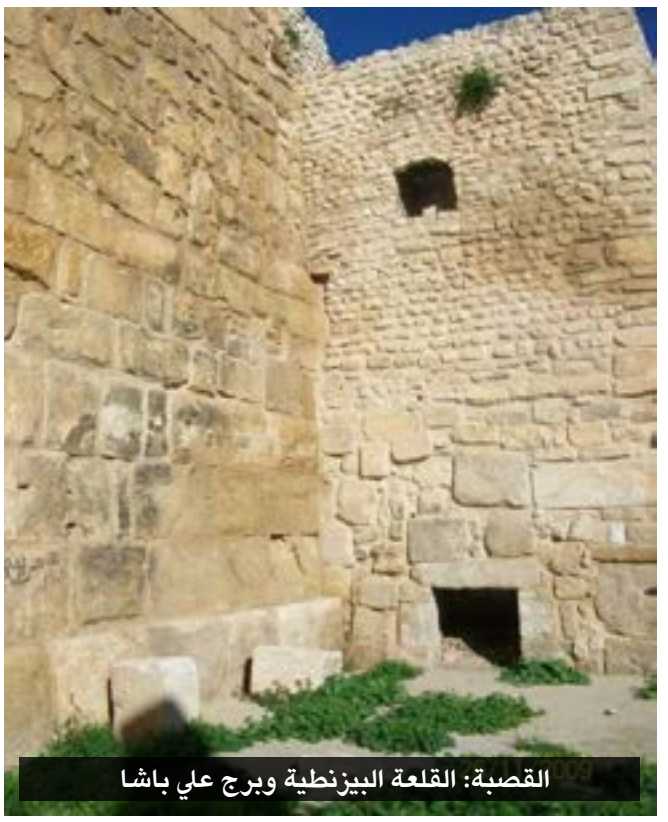
القصبة: القلعة البيزنطية وبرج علي باشا

باجة العربية في عهد الفتوحات

افتتح المسلمون مدينة باجة سنة 35هـ/ 655 م على يد الصحابي معبد بن العباس ابن عم الرسول(ص) وقد استشهد، بحسب ما ورد لدى الهروي،ت 1089) في «الإشارات إلى معرفة الزيارات» ولدى القلقشندي(ت 1418) في «صبح الأعشى»، شابا في المرج المعروف باسمه حتى اليوم، إلا أنّ ردة البربر الكبرى التي قادها كُسيلة استدعت عودة زهير بن قيس البلوي إلى المدينة الحصينة

البرج التركي: الطبخانة الكبرى

سنة 69هـ/ 688م فاتحا، ولكن الفتح لن يستتب بها نهائيا إلا على إثر آخر حملة قادها حسان بن النعمان وأجلى خلالها البيزنطيين عن قرطاجتّة ولاحق فلولهم التي كانت قد ارتدت إلى باجة لتحتمي بقلعتها وبأسوارها عام 76هـ/ 695م.

الطور الإسلامي والقاعدة الإقليمية

انطلاقا من هذا التاريخ سيكون دور حاضرة الشمال ومأوى قراه كما يقول ابن أبي الضياف(ت 1874) رياديا،

جامع الباي: المحراب والمنبر العثماني

الجسر الروماني، 129 م

إذ ستتكرس مكانتها كمركز إداري وعسكري واقتصادي وروحي لكامل منطقة التلال من درنة (سيدي مشرق حاليا) إلى الأربس (قرب الدهماني، ولاية الكاف) غربا:

* فقد كانت سوقا كبرى للحبوب وهي الوظيفة التي ما انفكت تستاثر بها حتى اليوم،
* ومنها دورها كعاصمة اقتصادية لشمال البلاد خصوصا على الصعيدين الفلاحي والتجاري،
* كما كانت دوما عاصمة إدارية إقليمية،
* وقاعدة حصينة لوقوعها في طريق الغزوات المتأتية من الحدود الغربية،
* ومفترق طرق رئيسيا وهي الوظيفة التي أخذت في استعادة أهميتها في الزمن الحاضر.

فقد وجه الأغالبة (800 – 909 م) عنايتهم إلى باجة في إطار اهتمامهم بالوضع الاقتصادي واعتنائهم أساسا بالفلاحة وتشجيع المزارعين على استغلال أوسع المساحات الممكنة مما كثّر الإنتاج وحسّن مستوى المعيشة وظروفها ونمّى مداخيل الدولة وطوّر أساليب الزراعة وفنون البستنة بالخصوص وهو ما جعلها تسترد وظيفتها كعاصمة إقليمية لأثرى جهات البلاد وأخصبها فغدت عن جدارة مطمور المغرب الأدنى بل ومن أكثر المناطق اجتذابا للسكان بحكم حيوية الأنشطة الاقتصادية الممارسة بها، وهذه شهادة ابن حوقل (ت 977م):

«باجة مدينة قديمة أوّلية كثيرةُ القمح والشعير ولها من الغلات والزروع ما ليس بجميع المغرب مثله كثرةً وجودةً ونقاءً، وهي صحيحة الهواء كثيرة الرّخاء واسعة الفضاء غزيرة الدخل على السلطان وافرة الأرباح على تجارها والمزارعين بها» .

واتجهت عناية الفاطميين (909 – 972م) إلى باجة فعززوا تحصيناتها ووسعوا سورها وأسس الخليفة إسماعيل المنصور جامعها الأعظم عام 944م على أنقاض كنيسة المدينة الكبرى التي دمرها الخوارج بقيادة أبي يزيد صاحب الحمار بعد أن دخلوا المدينة بالسيف وأباحوها ثلاثا وحرقوا ديارها وسبوا نساءها وعبثوا بالأطفال الرضع وفعلوا بأهلها العجائب كما يقول ابن أبي دينار.

وبعد فترة من الاستقرار والأمن عاشتهما المدينة وإقليمها خلال العهد الزيري(972- 1049 م) تحدث واحدة من أعظم الكوارث السياسية والاقتصادية

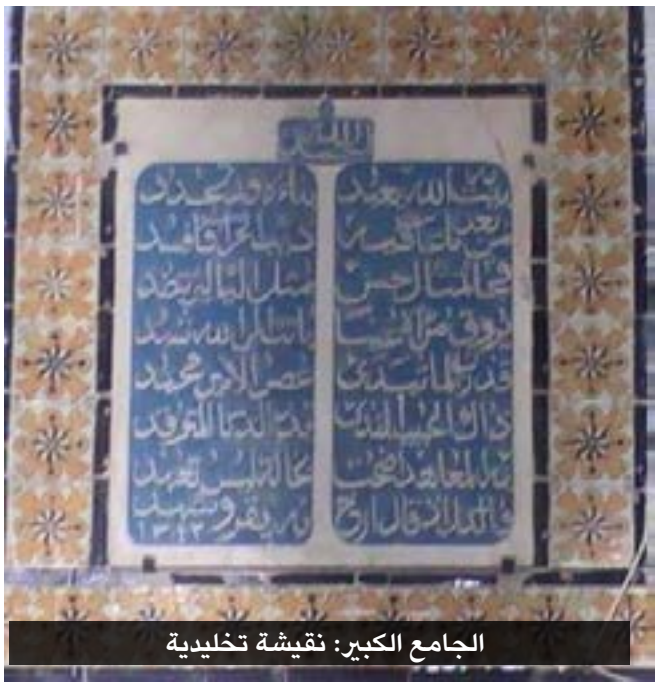
الجامع الكبير: نقيشة تخليدية

والاجتماعية التي عرفتها البلاد: سقوطها تحت سيطرة بني هلال وبني سليم، فقد احتلت عشائر مرداس بن رياح سهل باجة الثري عام 500هـ/ 1160 م وسقطت باجة بأيدي بني الأخضر.

وقد رافقت هذا الاحتلال مجزرة رهيبة ألحقها الغزاة بالسكان المدنيين، ولن يقف تيار الفوضى وعدم الاستقرار وانعدام الأمن إلا بانتصاب دولة بني نيزال حتى مقدم الموحدين عام 1152م. ولكن ما يلفت الانتباه في هذا الطور وصف البكري للمدينة حيث يقول:

« وحولها بساتين عظيمة تطّرد فيها المياه، وأرضها سوداء مشققة تجود فيها جميع الزروع، وبها حمص وفول قلما يوجد مثله، وتسمى باجة هُري إفريقية لربع زرعها وكثرة أنواعه فيها ورخصه به»، وهو ما يبعث على الاعتقاد بأن مستجدات الأحداث السياسية لم تكن لتؤثر على أنشطة السكان الاقتصادية العادية إلا نسبيا.

أما في العهد الحفصي(-1232 1574) فإنّ المدينة ستظل على حظوتها وهذه شهادة الحسن الوزان الذي زارها قبيل عام 1515:

« وجدران هذه المدينة وأسوارها باقية على وجه الدهر، وأهل باجة متحضرون متمدنون ولهم آداب وأخلاق ونظام يسوسهم، وهم مرتبون في كافة أعمالهم وسيرة سلطانهم، وقد امتلأت مدينتهم بصنوف الصناعات حتى الحياكة هذا فضلا عن الجمّ الغفير الذين يتعاطون الفلاحة»،

أضف إلى ذلك تميزها بدور ثقافي بارز إذ لن تنقطع عن إنجاب المفكرين واستقطاب المثقفين كما أنها ستكون مركز تزويد للحاضرة بنخبة من العلماء مثل:

- علاء الدين أبو الحسن الباجي(-1234 1314م)، عالم الأصول والمنطق والحساب، وأشهر كتبه « كشف الحقائق في المنطق»، و»غاية السول في علم الأصول»، و» الردّ على اليهود والنصارى»،،،

- وعُمر القلشاني(-1371 1443) صاحب المصنفات الشهيرة في الفقه والأصول وعلم الكلام ومنها « تبصرة الأخيار»، و»شرح الطوالع»، و»شرح مختصر الن الحاجب الفرعي»،،،

- وأحمد القلشاني(-1373 1459) الملقّب بالشارح صاحب «تحرير المقالة في شرح الرسالة» وهي واحدة من كبريات موسوعات الفقه المالكي، و» معونة الطالب»، و» لم يكن أعرف منه بمذهب مالك، فيما يقول الزركشي في «تاريخ الدولتين» والرصاع في «الفهرست»،

- وأبي الحسن علي القلصادي(ت 1486) أحد أبرز أعلام المدرسة المغاربية في الرياضيات، صاحب « كشف الأسرار عن علم الغبار»، وهو أشهر كتبه، و»شرح أرجوزة ابن الياسمين» في الجبر والمقابلة، و»بغية المهتدي»، و»كشف الجلباب عن علم الحساب» و»رسالة في قانون الحساب»، و»رسالة في معاني الكسور»، و»شرح تلخيص ابن البنّا»(في الحساب)، وشرح على إيساغوجي في المنطق،،،

وهو الدور الذي ستضطلع به على امتداد العهدين المرادي والحسيني إذ ستعطي المدينة للبلاد:

- المؤرخ محمد الصغير بن يوسف(ت 1772)، صاحب « المشرع الملكي» و» التكميل المشفي للغليل» و» المذيّل على الرّسالتين»،

- والمؤرخ محمد العياضي (ت 1756؟) صاحب « مفاتح النصر في التعريف بعلماء العصر»،

- ومحمد الشافعي بن القاضي(1764-1692)، العالم الشاعر، صاحب «إظهار النكات من خبايل المحركات»، و « شرح مختصر ابن عرفة» و»عقيدة التوحيد»،

- ومحمد التواتي(ت1621) اللغوي والمتكلّم والفقيه،

مخطوط عائلي، خزانة دار بن يوسف

عينة من مخطوطات الخزائن العائلية

صاحب «غنية الراغب» و» الخبر في معرفة عجائب البشر» و»الشواهد الشعرية» و»شرح محتصر الأخضري» و «شرح لامية الأفعال» و»شرح شواهد الكتاب» وعالم المنطق مسعود المغراوي(ت 1756؟) صاحب « كشف اللثام»، وهو شرح على إيساغوجي في المنطق، وآخرين.

وصرفت عناية الدولة خلال العهد العثماني إلى تعزيز المُنشآت الروحية والعلمية بالمدينة وتدعيم المؤسسات العسكرية والمدنية فاهتمت بالتجهيزات الأساسية ولا سيما الجسور والطرقات وجددت القصبة والأسوار ودعمتهما.

وأسس مراد باي الثاني(-1666 1675) قصر باردو (-1662 1666)بها والجامع الحنفي (1675-1666)،

دار بدري: أنموذج لثراء المعمار العربي

كما تمّ في عهده تجديد واجهة زاوية الشيخ بابا علي الصمادحي(1667)، لأياديها البيضاء على مراد باي الأول واستقرار الحكم في سلالته، وبعث محمد باي المدرسة المرادية عام 1685.

في حين جدد علي باشا عام 1746 قصر باردو الملكي، كما اعتمد حسين بن علي في سياسة المملكة على رجال من باجة اتخذهم له مستشارين أوّل في شؤونه

القضائية والإدارية والسياسية والاجتماعية على غرار علي شُعيب(ت1750) قاضي المحلة، و يوسف بَرتقيز(ت1735) إمام القصر، والباش كاتب قاسم بن سلطانة(ت 1730)، وكان علي بن عبد العزيز العوادي (ت1778) خزندار علي باي(1782-1759)، على غرار مواطنه الفقيه علي العبيدي(ت 1780) من كبار رجال دولته، وكان الشيخ علي الشواشي(1934-1830) الشهير بمواقفه الوطنية في مناهضة الاحتلال الإمام الخاص للصادق باي بمسجد باردو.

ومهما يكن من أمر فلقد كانت سياسة البايات في الأغلب تقوم على العصا الغليظة وقطب الرحى فيها الإجحاف الضريبي، كما كانت محلة الصيف عموما أحد أهم أسباب انخرام حبل الأمن بالمنطقة ولاسيما لدى قبائل الجبال التي ستقترن أسماؤها في كتابات المؤرخين والإخباريين بالامتناع عن الأداء وشق عصا الطاعة في وجه السلط المركزية وأعوانها المحليين وهو ما جعل الحرب سجالا بين الطرفين إلا أنّ الإصرار على التحدي والمجابهة هو القاسم الذي ظل مشتركا بين البايات والأهالي ولنا في مسلك مراد بوبالة (1702-1699) مثلا خير دليل فقد « خرج بالمحلّة إلى باجة وفعل بأهلها ما هوّن عليهم فراق الوطن فخرجوا منها إلى الشعاب والأودية وتركوها خاوية على عروشها».

وفي عام 1865 «جعل علي باي همّه خلاص المال على أي وجه وبأية كيفية، أقام على باجة وعلى سهول الجبل وأزال من تلك الجهة إسم الثروة ومسماها» فيما يروي ابن أبي الضياف.

وفي خضم هذه الملابسات التي كانت البلاد فيها «فقيرة حسا ومعنى» و»ذات قابلية للاستعمار» داهمتها قوات الاحتلال الفرنسي ولم يتمكن الجنرال لوجيرو Logerot من الاستيلاء على باجة والسيطرة على قصبتها إلا يوم 20 ماي 1881 أي بعد شهر من بداية التدخل.

على أن المقاومة لن تفتر في الجبال والهضاب والبوادي بخمير ونفزة وعمدون وماكنة بقيادة حسن بالأطرش وبوريال النفزي وعلي بن عمار العياري إلا مع نهاية العام ولكن إلى حين، فبداية من الثلاثينات ومع تحول ميزان القوى من الأرياف إلى المدن اتخذت مقاومة الاستعمار وجها مدنيا وعصريا وأخذت النخبة تلعب دورا طلائعيا وتقلص دور الأرياف وانخرطت النخب التي أنجبتها المدينة ومحيطها في الحركة الوطنية المركزية وتواصل نضال أبنائها في الإطار الوطني مشاركين في مختلف المواجهات ومنها حوادث 8 و 9، و10 أفريل 1938، ومظاهرة 15 جانفي 1952 النسائية، وحوادث 4 فيفري 1952، وحوادث 25 ماي 1952، وحوادث 20 أوت 1952 وغيرها حتى حصول البلاد على استقلالها.

المجلس الوطني لاتحاد الكتاب

جدل الواقع وأفق التقدم

طارق العمراوي

شهدت قاعة إحدى النزل بمدينة الحمامات أعمال المجلس الوطني لاتحاد الكتاب التونسيين يومي 27 و28 سبتمبر2024وقد حضر رؤساء الفروع وممثلين عن الهيئة المديرة التونسي كانت الانطلاقة يوم الجمعة 27 سبتمبر بتدخل الرئيس الذي ذكر باستراتيجيات العمل الأدبي والثقافي وأخلاقياته ووضعية الفروع مع ضرورة التجديد وتنويع الأنشطة وأهمية التعريف بالكاتب التونسي في المحافل العربية والدولية وقبل هذا إعادة الاعتبار للكاتب وطنيا إذ هو الحزام والحصن المدافع والمتقدم لتونس ورداءة بعض دور النشر التي أساءت للكتاب والكاتب التونسي مارا في حديثه بالكتاب الورقي ومجلتي الاتحاد والكتاب الالكتروني وايجابياته مع ضرورة العمل على بعث موقع على النات والتفكير بجدية في ودادية كمكل هام لعمل الكاتب والاتحاد .

ليتحدث السيد بوراوي بعرون عن الاتحاد ومشواره النضالي الفكري والإبداعي منذ تأسيسه حتى عمل النوادي بالمقر المركزي والندوات التي أقامها الاتحاد وأمام المسالة المالية وأهميتها فقد قدم السيد عادل بوغقة العديد من التفاصيل التي كشفت المستور وفهم من خلالها كل الحاضرين الوضعية المالية الحرجة للاتحاد ليناقش الحضور وضعية الفروع المقلقة في انجاز الانشطة والتمويل والمقرات مع امكانيات الانفتاح عن الجمعيات الثقافية والعمل الثنائي بين فرعين قريبين حدوديا أو التفكير بجدية في توأمات مع فروع الاتحاد الجزائري للفروع الحدودية

وطعم اللقاء بمداخلة أمنها السيد محمد عارم مراقب عام المصاريف العمومية حول التمويل العمومي للجمعيات مذكرا بالترسانة القانونية وأطرها ثم تم ضبط المعايير والإجراءات وشروط التمويل العمومي والقوائم المالية وعديد الإشكاليات التي ارتبطت جوهريا بالتمويل العمومي .

أما الندوة التي تم برمجتها فطرحت إشكالية» الملكية الفكرية وحقوق النسخ التصويري وأثرها في الكتاب التونسي» تداول في الشرح والتفسير كل من السيدين محمد العمائري ومحمد السالمي أين تحدثا في الاطار العام للملكية الفكرية وتنوعها وتاريخية بعض القضايا العالمية المرتبطة بالإشكالية المعروضة والكتاب الورقي والحقوق والواجبات وطرق الحماية وأمثلتها لتقريب الفكرة والحقوق المجاورة ليناقش الحضور العديد من المسائل المرتبطة جدلا بالمسألة وفي الأخير تم عرض مخرجات المجلس الوطني والعمل على تنفيذها وتم مد الحضور بالعديد من الوثائق الهامة على شكل ملاحق منها نموذج ضبط قائمة الوضعية المالية وآخر حول الايرادات والأعباء وثالث حول جدول التدفقات النقدية وإيضاحات حول الميزانيات التقديرية كما كان اللقاء فرصة للتعارف وعقد برامج عمل بين الفروع كما تم تبادل العديد من المنشورات بين أعضاء الاتحاد الذي لمس العديد من الحاضرين الروح الجديدة التي دبت في الاتحاد وضرورة المواصلة في هذا النهج عبر طرح مسائل كبرى في حجم تطلعات الأعضاء والمرحلة

صورة تتحدّث

مدخل سوق القرانة

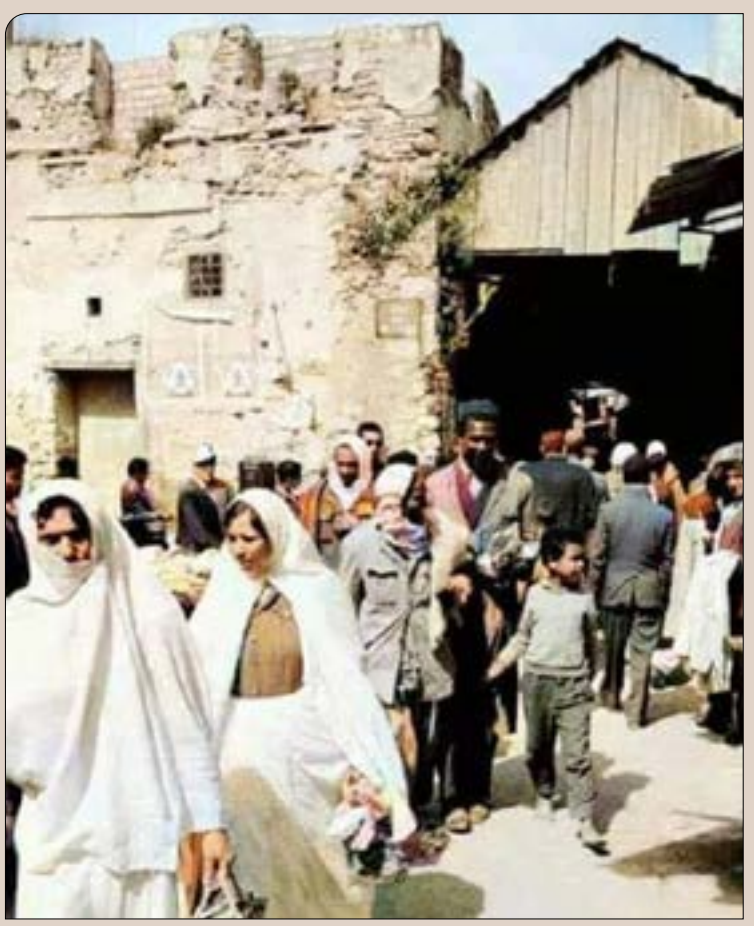

"مدخل سوق القرانة بتونس ايام زمان وهي إحدى أسواق مدينة تونس. سميت بهذا الاسم نسبة إلى يهود القرانة، الذين اطردوا من إسبانيا والبرتغال. و استقروا في مرحلة أولى في إيطاليا في مدينة قرنة ليفورنو حيث مكنهم الدوق الكبير فرديناند الثاني من تسهيلات لتعاطي الأنشطة الاقتصادية والتجارية، ثم هاجروا إلى تونس عند موت الدوق في القرن السابع عشر ميلادي فسكنوا بحي «الحارة» وتعاطوا التجارة بسوق القرانة (جمع قرني). وتوجد السوق ضمن حدود منطقة باب سويقة وقريبا من زاوية سيدي محرز وجامع محمد باي المرادي والذي يسميه سكان المدينة أيضا بجامع سيدي محرز See less

عن Celebrity News

إيراني يحرز الجائزة الكبرى بهولندا

علاء الدين السعيدي

استطاع الفيلم الوثائقي الإيراني "المصير" للمخرج ياسر طالبي أن ينتزع الجائزة الكبرى ضمن فعاليات مهرجان مينا السينمائي الدولي في مدينة لاهاي بهولندا وذلك بعد تألقه في منافسة قوية مع باقي الأفلام الطويلة المشاركة في المسابقة. وجاء هذا التتويج بسبب أصالة المواقف ورسالة الفيلم في التركيز على العاطفة النقية لفتاة مراهقة تجد نفسها في تحد بين طموحها المشروع في إكمال مسيرتها الدراسية وبين التزامها الأخلاقي تجاه والدها الذي يعاني من الإعاقة. وأشادت لجنة التحكيم ببراعة المخرج في الغاء كل الحدود بين الوثائقي والخيال، والبرهنة على أن السينما هي فن الصورة بالدرجة الأولى، وليس بالضرورة فن السيناريو.

وفاز الفيلم المغربي الروائي الطويل "جلال الدين" من إخراج حسن بنجلون بجائزتين: جائزة الاخراج وجائزة أفضل ممثلة للتونسية فاطمة ناصر، كما فاز الممثل المغربي عادل أبا تراب بجائزة أحسن ممثل عن دوره في فيلم "كأس المحبة" لنوفل البراوي.

اما جائزة السيناريو فكانت من نصيب الفيلم الإيراني "المجد الصامت" من اخراج الإيرانية ناهيد حسن زاده.

في مسابقة الأفلام الطويلة ذاتها حصد الفيلم العراقي "ميزوبوتاميا" جائزة العدالة والسلام.

فيما ذهبت جائزة الصحافة السينمائية للناقد والصحافي المهتم بتاريخ السينما بالمغرب أحمد سيجلماسي كاعتراف بما يقوم به من تغطيات ومواكبة وتوثيق لمختلف الأنشطة السينمائية الخاصة بالمغرب.

وشارك في دورة هذا العام ١٩ فيلما قصيرا وسبعة أفلام طويلة إضافة إلى ثلاثة عروض خارج المسابقة الرسمية. وضمت لجنة تحكيم الأفلام الطويلة في عضويتها، كلا من المخرج الجزائري الفرنسي حميد بن عمرة والكاتبة والباحثة المغربية عفيفة حسينات والممثلة الهولندية الإيرانية الين فريدة كوننغ.

في اليوم الأول من المهرجان قدم الباحث والأكاديمي المغربي ادريس القري محاضرة عن السينما وطبيعة المفارقة التي تحملها. وكانت المحاضرة فرصة لاستكشافٍ تباديٍّ مع الحاضرين حول السينما في العالم وتشابكاتها مع السلم والمعيار القيمي بين الكوني والغربي، وشهد حفل الاختتام تكريم السينفيلي المغربي عز الدين كريران، المدير الحالي للمهرجان الدولي للسينما الإفريقية بمدينة خريبكة بالمغرب، وأحد الأسماء البارزة لحركة الأندية السينمائية بالمغرب،كما تضمن حفل اختتام هذه التظاهرة السينمائية، فقرات خصبة لعل أبرزها الحفل الموسيقي الذي أحيته الفرقة الموسيقية السودانية بقيادة العازف السوداني ضياء ميرغني.

الجياد العربيّة تبحث عن فرسانها

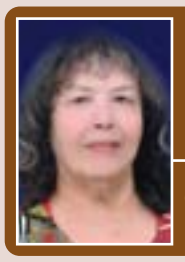

فضيلة الشابي

لا تخشى الرّمال المتحرّكة
لا تخشى المياه الثائرة
الجياد العربيّة تبحث عن فرسانها
لا تخشى خيانة الخوَنة
الجواد العربيّ حفيد البُراق
يحمل سيّد الشّهداء
سيّد العاشقين السيّد حسن نصر الله
إلى المسجد الأقصى
يحمل سيّد العارفين
سيّد الصادقين
ذلك الحيّ رغم موته
ذلك المنتصر
الجياد العربيّة تبحث عن فرسانها
في الأقاليم
يا المدن اغتسلي في طوفان الأقصى
وتطهّري
لقد توغّل الفرسان في أعماق الزمن الإنساني
الأرقى
يا المدن
الجياد العربيّة تنتظر فرسانها
في المدى الواسع

نشرات الأخبار

عثمان بالنائلة

إليكم نشرة الأنباء
إليكم نشيد الصنم
البلاد أخبارها لا تسرّ
هي مرتع للفاسدين
إقتصادها في تدنّي
من محنة إلى محنة
لا تكاد تتنفس
حتى من جديد تختنق
المواطن ليس بالسياسة يبالي
ما يهمّه قوته و قوت عياله
و المجلس كالرئيس أصمّ
و المعارضون يتكالبون
لن يملّوا من الكيد و السبّ
همّهم نيل المناصب
و بيع السراب
و إشتراء الذمم
الأخبار ككلّ يوم
قلّة الأمطار
و غلاء المعيشة
و توقيع المعاهدات
و زيارات المسؤولين
التي تُنسى قبل أن تتمّ
مهرجانات ومعارض
و ترويج للسياحة
و إصطياد الإستثمار الأجنبيّ
كأنّنا جزر الأحلام
تعال و إنهب
و لنا الأدواء و التعب

كبّر الأولاد مهمة في غزة 1

توفيق الذكر

تعاوده في كل مرة أوجاع فخذه و تشتد في فصل الشتاء خاصة... هولا يصدق طبيبه الذي أعلمه وأن القضيب والبراغي التي ثبتت بعظم فخذه بعد الحادث قد إجتثت لاحقا... لازال يحس وأن مساميرا تنخرعظمه وتعوق حركته...كما أنه لا يثق بما يقوله يهودي حتى و لوهو طبيبه الذي أنقذ حياته... مع هذا الألم يتعاظم إضطرابه النفسي فهذان الإحساسان متلازمان ومؤثران الواحد منهما في الآخر... برغم مرور أكثر من ثلاث سنوات على ما وقع إلا أنه لم ولن ينسى طوال حياته ذاك السبت المرعب يوم وجد مرميا مكشوف العورة بجانب ذلك الثور البدوي الأحمق... من حسن حظه أن إكتشفته طائرات المراقبة خلال عمليات تجسسها الروتيني وإلا كان قد مات و تعفنت جثته ونهشتها الطيور والكلاب ثم إختلطت برفاة جليسه يالها من ميتة ويال العار الذي سيلحق به وبعائلته...

لم يستطع مشهور النوم تلك الليلة... أرق متواصل، حلم وكوابيس متتالية ، تصلب بمعدته ثم رجة بكامل جسمه وكأنها صعقة كهربائية... ما الذي وقع له!؟... – أبا ابراهيم هل أنت مريض؟... سألته زوجته التي سمعته يئن...– لا لا... نامي... تقلب مرارا ثم وقف... جلس على منضدة صغيرة جنب سريره فتح جهاز الأي باد وكتب: (البيان الأول: بعد الاجتماع والتداول نعلن رفضنا التعدي على سيادتنا بإلغاء دورنا و إيقاف رواتبنا...هذا وقد قررنا رفع السلاح للدفاع عن حقنا و حماية مواطنينا...) لم يكمل كتابة البيان لكنه أحس براحة كبيرة... بعدها تمدد ثم دخل في سبات عميق... أفاق على صوت رنين هاتفه الجوال ... تلقفه ووضعه بأذنه: – نعم سيدي... – منبه يا أبا إبراهيم الساعة السابعة الآن ... هتفت أم ابراهيم التي أيقضها الجرس ... مشى إلى الحمام، إتكأ بكلتا يديه على إطاربابه الخشبي ثم رجع أدراجه، أخذ هاتفه وإتصل، تكلم بعد برهة – اين انت؟ ..– بالثكنة منذ الفجر حضرتكم ...– ما الجديد؟ .. – أحدهم بعث بكلمة: "الصف الامامي» ... – اللعنة لقد أكتشفوا...– كيف؟...وضعوهم في مواجهة الجيش... – ما معنى ؟ – إفتح عينيك جيدا هذه الأيام كل النفوس متراوحة... ادعو الجميع إلى اجتماع على الساعة التاسعة... أغلق الخط و إمتدت يده الى جهاز "الآي باد"، فتحه على صفحة الوورد التي حررها البارحة قراها ثم ظلل كل ما كتبه ونقر يمينا وإختار كلمة ديليت، فسخها ثم اغلق الجهاز محادثا نفسه:» في الليل ترتبك المناعة فيضعف الجسد وتخاف النفس وتكثر هواجسها"... رجع أدراجه الى الحمام، فتح الماء باردا على رأسه، تأوه وارتعدت فرائسه...

في طريقه الى العمل إستغرق مشهور في تفكير عميق أحس بالظلم واهتزاز ثقتة بنفسه... سئم نسق حياته وما يعانيه من قهر بين المطرقة والسندان.. تزعزعت بقايا الثوابت التي كانت تشده لهذا العمل على رأس جهاز التنسيق الأمني الفلسطيني برام الله... فمع اشتداد وتيرة المقاومة أصبح في مرمى شكوك الجيش الإسرائيلي كما زادت هرسلة و تهديدات جميل ضابط الاستخبارات الإسرائيلي ذا الأصول الفلسطينية المسلمة الذي عرفه بحيهم منذ طفولته والذي سعى طويلا للتقرب منه والمحافظة على علاقته به لاعتقاده بان ذلك سيسهل أداءه لوظيفته... دخل فوجد على مكتبه محضر جلسة تحقيق بعنوان: "إقتحام مستوطنة عيلي باستعمال الأسلحة البيضاء "، تملكه غيض شديد نادى اعوانه:"أين المتهمون؟... اضربوهم ... علقوهم... اقتلوهم... خذوا المعلومت عن البقية بجميع السبل... نحن من سيدفع الثمن "... قطع صراخه رنين هاتف مكتبه :– الو مشهور ...– نعم سعادة الكابتن جميل ...– أعرف أنكم تتسترون عنهم؟...– لقد اعتقلنا أغلبهم ...– سأنتقم من الجميع وأنت أولهم...– سيدي ... أغلق الخط في وجهه... وضع مشهور الهاتف مرتبكا وهم بمغادرة مكتبه جال بنظره بحثا عن جواله، إلتقطه و أضاء شاشته فرأى رسالة واردة على أيقونة الوات ساب، فتحها إنها من إبنه إبراهيم :" أبي أتمنى لكما السلامة أنت و أمي في ظل هذه الظروف العصيبة... لما لا تزورني؟ ... حدث محمود نفسه :"لا شيء يضاهي العيش بأمريكا إبتعدت فأراحك الله من هذه المعاناة التي نعيشها يا بني كما فعلت أختك التي إستقرت بمصر وانجبت أولادا حازوا هوية والدهم المصرية أنا سعيد لاجلكما "... ثم أضاف بصوت يكاد يكون مسموعا: " كل عائلتي وأصدقائي فروا من هذا الجحيم... أنا من ظل يعاني ضغوط هذا البدوي الذي كان طفلا مشردا يجري عاري المؤخرة بزقاق الحي نشفق عليه و نحن صغار فنعطيه أكلنا... هل نسي عطايا والدي لأسرته فترة إزدهار تجارة الاقمشة؟...كان فقيرا معدما ثم فجأة أصبح ضابطا تكلل اكتافه النجوم و الشعارات؟! ... يرفع صوته على أسياده و يهين رجال الشرطة و ضباطها ... نتحمل كل هذا لأجل ماذا ؟ راتب حاضر غائب و سب و شتم و تخوين من الجميع...ما هذا الوضع المزري؟! "

كالعادة و بعد كل عملية تنفذها المقاومة يستدعي مشهور للتحقيق ...ساعات طويلة من العذاب و الإهانات لم يراعى مركزه ولا رتبته العسكرية كلواء تحت امرته الاف الرجال ... نفس التهمة توجه له دائما « التامر على امن دولة إسرائيل و التخابر مع المقاومة "... حاول مرات عديدة بيان حسن نيته بتنفيذ جميع أوامرهم، حتى أنهم طلبوا منه مؤخرا و أن يبعث بجواسيس داخل صفوف المقاومة ففعل مكرها لاحساسه بانهم يختبرونه... أكتشف الجواسيس فأعدموا... كالعادة لم يصدقوه و اعتبروها لعبة من ألاعيبه... كان جميل يقوم بالتحقيق معه بنفسه كما يتعمد إهانته و تخويفه...في الماضي كان يتظاهر بإعتبارالصداقة المزعومة بينهما :– هذا عمل يا مشهورلا بد وان أقوم بواجبي فأنا مراقب... ثم يضيف: –هذا الإرهاق لن تزيله الا قنينات بيرة على ساحل البحر...هات مساهمتك... يشتريان الأكل و الشرب ويجلسان لساعات طويلة... تواصل هذا الى حدود يوم هاجمهم فيه طفل فلسطيني وهما سكرانان في البراري فتمكن منهما، تركهما جريحين وهرب، بعد هذه الواقعة توقفت الجلسات بينهما و زادت إذاءات جميل لمشهور و كانه يحمله مسؤولية ما وقع...

هذه المرة إستمر التحقيق معه لأيام طويلة ذاق فيها أنواعا شتى من الإهانات و الإذلال، أصبح يفكر جديا في الاستقالة من وظيفته ثم حسم أمره و قرر الهجرة بأي ثمن: "بالخروج من هذا المستنقع سأكون أنفع للبلاد، كثيرا من المناضلين قدموا أعمالا جليلة لهذا الوطن من الخارج" خاطب نفسه... بعد هذا القرار إنخفض توتره و أصبح يعد لحياته القادمة... أعلم زوجته التي رحبت بالأمر، كما تواصل مع أخيه المتحصل على الجنسية الأردنية و أخته المقيمة مع عائلتها بقطر فأبدوا جميعا إبتهاجهم و إستعدادهم لمساعدته على بدء حياة جديدة خارج فلسطين... جلس طوال وقت دوامه الصباحي أمام جهاز الكمبيوتر كي يكتب الإيميل الخاص بالإستقالة... إختار الكلمات التي تصور وأنها تؤثر في رئيسه المباشر في أعلى هرم السلطة الفلسطينية و تقنعه بان لا رجعة في قراره لدرئ اي محاولة منه لثنيه عن عزمه و إقناعه بالمواصلة كما فعل معه سابقا، كان يحاور نفسه متذكرا مسؤوله: " يتجول بين عواصم العالم ويبيت في أجمل فنادقها،لا يدري ما نعانيه ثم يريد التحكم في مصائرنا و المخاطرة بحياتنا، هذه هي الوقاحة بعينها»... بعث بالإستقالة وبقي في إنتظار الموافقة عليها على أحر من الجمر... في اليوم الثالث رأى إشارة الايميل مرسومة على حافة شاشة الكمبيوتر ضغطها وإمتدت يده مرتجفة تفتح صندوق الوارد فيه كان الإيميل مبعوث من رئيسه، يحوي فقط جملة قصيرة: "هذا ما قرروه راجعهم في أقرب وقت»... مررإصبعه على الفأرة نازلا الى أسفل الصفحة فرأى إميل آخر وارد من جميل ومحول إليه مرفق بوثيقة بي دي اف به كذلك جملة واحدة:"هذه أوامر الجيش، المطلوب تحديد قائمة بالافراد قبل نهاية هذا الشهر"... فتح وثيقة البي دي اف بيد متوترة، كانت رسالة باللغة العربية برأسها :"جيش الدفاع الإسرائيلي» و مختومة في أسفلها من الجيش الاسرائيلي، و جهاز الاستخبارات "الموساد" و جهاز الامن الداخلي"الشباك" بخط كبيروغامق عنونت: "تكليف مهمة رسمية" تحتها بخط أفتح و أحرف أصغر كتب :" بأمر من رئيس الأركان و من ضمن ما عرضتم علينا من إقتراحات وقع اختيارنا على الضابط "مشهور أبو صقر" ليكون على رأس فرقة للشرطة الفلسطينية سيوكل إليها مهمة ضبط الأمن داخل غزة بتنسيق مع الجيش الإسرائيلي "...أسقط في يده و أظلمت الدنيا في عينيه...

– يتبع – الدوحة 26 سبتمبر 2024